الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة قاصدي مرباح، ورقلة
كلية الآداب واللغات والفنون
قسم اللغة والأدب العربي

التخييل السياسي في خطب الخلفاء

دراسة بلاغية تداولية في خطب مختارة من العصر العباسي

مذكرة من متطلبات نيل شهادة الماستر في اللّغة والأدب العربي

الميدان: اللغة والأدب العربي

الشعبة: دراسات أدبية

التخصّص: أدب عربي قديم

إعداد الطالبة:
جهاد بخديجة

إشراف الأستاذ:
د كريمة نطور

لجنة المناقشة:

أعضاء اللجنة	الرتبة العلمية	الصفة	الجامعة
علي محدادي	أستاذ التعليم العالي	رئيسا	جامعة قاصدي مرباح ورقلة
كريمة نطور	أستاذ محاضر (ب)	مشرفا ومقررا	جامعة قاصدي مرباح ورقلة
عبد الرحمان عبان	أستاذ محاضر (ب)	ممتحنا	جامعة قاصدي مرباح ورقلة

1447هـ / 2025-2026 م

إهداء

إلى مَن بهم أستقيم، وبدعائهم أستنير "الوالدين الكريمين"

وإلى من أحب...

أهديكم ثمرة جهدي المتواضع.

شكر و عرفان

الحمد لله الذي بيده ملكوت كل شيء، والقائل في محكم تنزيله: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ والصلاةً والسلامً على أفصحِ من نطق بالضاد.

أما بعد؛ أتقدّم بجزيل الشكر وعظيم الامتنان إلى الأستاذة المشرفة: "كريمة نطور" التي لم تبخل عليَّ بتوجيهاتها السديدة، وكانت لرؤيتها النقدية وبصيرتها في سبر أغوار التخييل السياسي في هذا البحث، فجزاها الله عنّي خير الجزاء.

كما أُسدي خالص الشكر للأستاذ القدير "علي محدادي" ، الذي مدَّ لي يد العون في رحاب هذه الجامعة، وللأستاذة الكريمة والرفيقة سعيدة حمزاوي، وللأساتذة الكرام الذين أناروا دربي بالعلم والمعرفة.

وإلى كلِّ من يُدرك أنَّ التخييل هو اللغة الخفيّة للسياسة،
وأنَّ الخطبة كانت - وما تزال - تصنع عوالم التأثير والإقناع..

فهرس المحتوى

فهرس المحتوى

المقدمة.....ب

الفصل الأول : الإطار النظري والمنهجي..... 5

تمهيد:..... 6

المطلب الأوّل: مفاهيم المحاكاة والخيال والتخييل 6

المطلب الثاني: الفرق بين المحاكاة والخيال و"التخييل" واعتماد "التخييل" مفهومًا إجرائيًا .. 12

المبحث الثاني: الخطبة السياسية وسياقها التداولي 16

المطلب الأوّل: الخطبة السياسية 16

المطلب الثاني: العصر العباسي وظروفه..... 19

المطلب الثالث: عوامل ازدهار الخطبة السياسية في العصر العباسي..... 21

المطلب الثالث: التداولية والتخييل 26

الفصل الثاني: التخييل السياسي في الخطب العباسية (الدراسة التطبيقية) 31

تمهيد:..... 32

المبحث الأوّل: الخلفاء العباسيون والخطاب السياسي 32

المبحث الثاني: تحليل نماذج من الخطب العباسية..... 37

المطلب الأوّل: التخييل في بناء صورة الخليفة..... 52

المطلب الثاني: التخييل في تصوير العدو 53

المطلب الثالث: التخييل في تمثيل الدولة والشرعية..... 54

المبحث الرابع: التخييل من منظور تداولي..... 56

الخـــاتمة 58
قائمة المراجع 61

ملخص الدراسة:

تتناول هذه الدراسة **التخييل السياسي في الخطب العباسية** بوصفه آلية رمزية لإنتاج الشرعية وإعادة تشكيل الوعي الجمعي. تنطلق من فرضية أن الخطبة السياسية ليست مجرد نص وعظي، بل ممارسة تداولية تستثمر أدوات البلاغة العربية (الاستعارة، التشبيه، الحجاج) وآليات التداولية الحديثة (المقام، أفعال الكلام، الاستلزام) لبناء صور متخيَّلة عن الخليفة، والعدو، والدولة. وقد اعتمد البحث منهجًا وصفيًا تحليليًا، مستندًا إلى نصوص مختارة من خطب الخلفاء الأوائل (السفاح، المنصور، المأمون، المتوكل) كما وردت في المصادر التاريخية والأدبية الأصيلة، مع الاستفادة من الدراسات الحديثة في النقد والبلاغة. خلصت النتائج إلى أن الخطبة العباسية شكّلت فضاءً لإنتاج السلطة الرمزية، حيث وظّف الخلفاء النص القرآني والخيال البلاغي لتثبيت شرعيتهم، وتصوير خصومهم كغاصبين ومارقين، وتقديم الدولة كدار عدل وجماعة. وبذلك أسهم التخييل السياسي في ترسيخ المخيال الجماعي للأمة، وجعل اللغة أداة مركزية لإعادة إنتاج الهيمنة الرمزية.

الكلمات المفتاحية :الخطبة السياسية، العصر العباسي، التخييل، التداولية، البلاغة.

Abstract :

This study examines political imagination in Abbasid sermons as a symbolic mechanism for producing legitimacy and reshaping collective consciousness. It proceeds from the premise that the political sermon is not merely an exhortatory text, but a discursive practice that employs the tools of Arabic rhetoric (metaphor, simile, argumentation) and modern discursive mechanisms (maqam, speech acts, implication) to construct imagined images of the caliph, the enemy, and the state. The research adopted a descriptive-analytical approach, drawing on selected texts from the sermons of the early caliphs (al-Saffah,
al-Mansur, al-Ma'mun, al-Mutawakkil) as recorded in authentic historical and literary sources, while drawing on modern studies in criticism and rhetoric. The findings concluded that the Abbasid sermon constituted a space for the production of symbolic authority, where the caliphs employed the Qur'anic text
and rhetorical imagination to establish their legitimacy, portray their opponents as usurpers and renegades, and present the state as a house of justice and a community. Thus, political imagination contributed to the consolidation of the collective imagination of the nation, making language a central tool for the reproduction of symbolic hegemony.

Keywords: Political Discourse, Abbasid Era, Political Imaginary, Pragmatics, Rhetoric.

المقـدمة

المقدمة

تُعَدّ **الخطبة السياسية في التراث العربي الإسلامي** من أبرز النصوص التداولية التي أسهمت في إنتاج الشرعية وإعادة تشكيل الوعي الجمعي، حيث مثّلت المنبر أداةً مركزية لتثبيت صورة الخليفة وتحديد علاقة الحاكم بالمحكوم .وفي العصر العباسي، حيث اشتدّ الصراع على الشرعية بين قوى متعددة، اكتسبت الخطبة وظيفة مضاعفة :فهي من جهة أداة لتبرير الحكم وتثبيته، ومن جهة أخرى إطار للمجادلات العقدية والفكرية.

وإذا كانت الخطبة قد اعتمدت **المحاكاة والخيال** في تصوير الأحداث والشخصيات، فإنها ارتقت إلى مستوى أعلى هو **التخييل**؛ ذلك الأثر التداولي الذي يُحدثه النص في المتلقي، فيجعله يُذعن لصورة معيّنة عن الخليفة أو الدولة أو العدو، ويعيد تشكيل وعيه السياسي . ومن هنا يبرز مفهوم **التخييل السياسي** بوصفه آلية رمزية لبناء صور متخيَّلة عن السلطة والشرعية، تُقدَّم للجمهور باعتبارها تمثيلًا مشروعًا للواقع، وتتحوّل بمرور الزمن إلى جزء من المخيال الجماعي للأمة.

تنطلق هذه الدراسة من الإشكالية الرئيسة : **كيف يُبنى التخييل السياسي في خطب الخلفاء العباسيين؟ وما الآليات البلاغية والتداولية التي تُسهم في تشكيله وتوجيه أثره في المتلقي؟**

وتفترض أن الخطبة العباسية ليست نصًا وعظيًا محضًا، بل ممارسة خطابية تستثمر إمكانات البلاغة العربية وأدوات التداولية الحديثة (المقام، أفعال الكلام، الاستلزام، الحجاج) لبناء تمثّلات عن الخليفة (الشرعي، العادل، المنصور من الله) وعن العدو (الغاصب، المارق، أهل الفتنة)، وعن الدولة (دار العدل والجماعة)، وذلك في أفق تحقيق الإقناع وإنتاج الهيمنة الرمزية.

وقد اعتمد البحث منهجًا **تداوليًا** ، يقوم على استقراء نصوص مختارة من خطب الخلفاء العباسيين الأوائل)السفاح، المنصور، المأمون، المتوكّل(، كما وردت في المصادر

التاريخية والأدبية الأصيلة، مع الاستفادة من الدراسات الحديثة في النقد والبلاغة .وتنقسم المذكرة إلى فصلين رئيسين:

- الفصل الأول :الإطار النظري والمنهجي، ويعالج مفاهيم المحاكاة والخيال والتخييل، وخصائص الخطبة السياسية وسياقاتها التداولية، وآليات التحليل التداولي وعلاقتها بالتخييل السياسي.
- الفصل الثاني :الدراسة التطبيقية، ويتناول نماذج من الخطب العباسية، محلِّلًا صور الخليفة والعدو والدولة من منظور تداولي.

تنطلق هذه الدراسة من الإشكالية الرئيسة :كيف يُبنى التخييل السياسي في خطب الخلفاء العباسيين؟ وما الآليات البلاغية والتداولية التي تُسهم في تشكيله وتوجيه أثره في المتلقي؟

ويتفرّع عنها أسئلة فرعية:

- ما الفرق بين المحاكاة والخيال والتخييل في التراث النقدي العربي؟
- كيف وظّف الخلفاء النص القرآني والخيال البلاغي في تثبيت شرعيتهم؟
- ما صورة العدو والدولة التي قدّمتها الخطب العباسية للجمهور؟
- كيف يمكن قراءة هذه الصور من منظور تداولي حديث؟

اعتمد البحث منهجًا تداوليًا تحليليًا، يقوم على استقراء النصوص الخطابية وتحليلها وفق أدوات التداولية (المقام، أفعال الكلام، الاستلزام، الحجاج)، مع الاستفادة من البلاغة العربية الكلاسيكية في تفسير آليات التخييل. هذا المنهج يتيح الجمع بين التحليل النصي والقراءة التداولية، بما يضمن الإحاطة بجميع جوانب الموضوع.

وقد آثرتُ اعتماد فصلين رئيسين في هذه الدراسة بدل ثلاثة فصول؛ لأن المقاربة البلاغية والمقاربة التداولية تتداخلان تداخلًا وثيقًا في تحليل الخطاب السياسي، إذ إن الظواهر البلاغية لا تُفهم بمعزل عن وظائفها التداولية ومقاصدها التواصلية، كما أن كثيرًا من الآليات التداولية تتجلى من خلال البنى والأساليب البلاغية ذاتها، لذلك بدا الجمع بين البعدين البلاغي والتداولي في إطار فصل تطبيقي واحد أكثر انسجامًا مع طبيعة المدونة

المدروسة، وأقدر على تجنب التكرار وإبراز التكامل بين الآليات البلاغية والتداولية في بناء التخييل السياسي داخل الخطب العباسية.

خطة البحث :

اقتضت طبيعة الموضوع تقسيم المذكرة إلى فصلين رئيسين:

- الفصل الأول: الإطار النظري والمنهجي، ويعالج المفاهيم المركزية (المحاكاة، الخيال، التخييل) وسياق الخطبة السياسية العباسية وآليات التحليل التداولي.
- الفصل الثاني: الدراسة التطبيقية، ويتناول نماذج من خطب الخلفاء العباسيين الأوائل، محلِّلًا صور الخليفة والعدو والدولة من منظور تداولي.

استند البحث إلى عدد من الدراسات الأكاديمية التي قاربت الخطاب السياسي العباسي من زوايا بلاغية أو تداولية، مثل كتاب يوسف الإدريسي *مفهوم التخييل في النقد والبلاغة العربيين*، ودراسة حكيمة ولدكرادة *التخييل في الموروث النقدي العربي*، إضافةً إلى مذكرات وأطروحات تناولت الخطاب السياسي في التراث العربي الإسلامي.

اعتمدت الدراسة على مصادر تاريخية وأدبية أصيلة، أبرزها :*تاريخ الطبري*، *أنساب الأشراف* للبلاذري، *الكامل في التاريخ* لابن الأثير، *العقد الفريد* لابن عبد ربّه، و*عيون الأخبار* لابن قتيبة، إلى جانب *جمهرة خطب العرب*، مع الاستفادة من المراجع النقدية والبلاغية الحديثة.

واجه البحث بعض الصعوبات، منها: تعدّد النصوص الخطابية وتنوّعها، صعوبة تطبيق المنهج التداولي على نصوص تراثية قديمة، كثرة المراجع وتباينها بين القديم والحديث، إضافةً إلى الحاجة إلى ضبط المصطلحات النقدية بما يتناسب مع السياق المعاصر.

شكر وتقدير

أتوجه بجزيل الشكر إلى الأستاذة المشرفة على جهودها في التوجيه والتصويب، كما يشكر اللجنة العلمية التي ستقرأ هذا العمل وتناقشه، راجيًا أن يحظى بالقبول والإفادة.

جهاد بخديجة

2026-05-20

الفصل الأول : الإطار النظري والمنهجي

تمهيد:

يُعَدّ هذا الفصل بمثابة الأساس النظري والمنهجي الذي تقوم عليه الدراسة كلّها؛ إذ يسعى إلى ضبط المفاهيم المركزية المتداخلة في عنوان البحث، وفي مقدّمتها مفاهيم المحاكاة والخيال والتخييل، مع توضيح الكيفية التي سيتبنّى بها البحث «التخييل» بوصفه مفهومًا إجرائيًا لتحليل الخطاب السياسي في خطب الخلفاء العباسيين. كما يتناول الفصل تعريف الخطبة السياسية وبيان خصائص الخطاب السياسي وأهدافه، وربط ذلك بالسياق التاريخي للعصر العباسي وظروفه السياسية والفكرية، من قيام الدولة وتعدّد الصراعات إلى حاجة السلطة إلى الخطاب والخطبة في تثبيت الشرعية. ويقدّم الفصل، من جهة أخرى، عرضًا لأهم آليات التحليل التداولي (المقام، المتكلّم والمتلقّي، المقاصد، أفعال الكلام، الحجاج، الاستلزام)، ثم يبيّن وجوه الارتباط بين التداولية والتخييل، وكيف يمكن لهذه الآليات أن تتحوّل – في سياق الخطبة السياسية – إلى وسائل تخييليّة تُسهم في بناء صورة الخليفة والعدو والدولة، وفي توجيه أثر الخطاب على المتلقّي. وبهذا يشكّل الفصل الأوّل جسرًا نظريًا ومنهجيًا يمهّد للانتقال إلى الدراسة التطبيقية في الفصل الثاني، ويحدّد الأدوات التي سيُستند إليها في تحليل المتن المختار من الخطب

المطلب الأوّل: مفاهيم المحاكاة والخيال والتخييل

1.المحاكاة بين الأصل الأرسطي والتلقّي العربي

تُعدّ المحاكاة (Mimesis) من أقدم المفاهيم التي شكّلت نظرية الأدب عند اليونان، وخاصة عند أرسطو، الذي نظر إلى الشعر بوصفه محاكاةً للأفعال الإنسانية الممكنة، لا لمجرّد الواقع القائم. وحين انتقل هذا التصور إلى الثقافة العربية عبر الترجمة والشرح، أعاد الفلاسفة والنقاد العرب قراءته في ضوء تراثهم اللغوي والبياني؛ فغلب عليهم فهم المحاكاة بمعنى التشبيه والوصف، أي تمثيل الشيء بغيره، أو نقل هيئة الشيء المحسوس في صورة لغوية تجعل السامع كأنّه يراه[1].

[1](قصبجي، أصول النقد العربي القديم، ص 133–137)

وقد ارتبطت المحاكاة عند نقّاد مثل قدامة بن جعفر وعبد القاهر الجرجاني وحازم القرطاجني بوظيفة التصوير في الشعر؛ فهي "تمثيلٌ" و"تصوير" يجعل الكلام يجري مجرى اللوحة أو المشهد. حتى قال الجاحظ عن الشعر إنه "ضرب من التصوير" (البيان والتبيين)[1].

يتضح أن المحاكاة في النقد العربي القديم لم تكن مجرد تقليد للواقع، بل إعادة صياغة رمزية تستثمر اللغة في بناء صور قادرة على تحريك خيال المتلقي، وهو ما يمهّد لفهم دورها في الخطاب السياسي العباسي.

2. الخيال: من القوة النفسية إلى الأداة البلاغية

الخيال، في التراث الفلسفي والبلاغي العربي–الإسلامي، هو أوّلًا قوّة نفسية إدراكية تحفظ صور المحسوسات بعد غيابها عن الحسّ، وتقوم بتركيبها وتفكيكها؛ فهو بين الحسّ والعقل: يأخذ مادّته الأولية من الإدراك الحسي، ثم يشتغل عليها تركيبًا وتحويلًا (الجرجاني، التعريفات)[2]. وقد أعطي لهذه القوة موقعًا أساسًا في نظريات المعرفة عند الفلاسفة المسلمين؛ فابن سينا مثلاً ميّز بين قوى متعدّدة في النفس: الحسّ المشترك، والخيال، والوهم، والحافظة، وجعل الخيال خزّانًا للصور المحسوسة التي يُعيد العقل تركيبها واستثمارها في إدراك المعقولات (الشفاء، كتاب النفس).

غير أنّ النقاد العرب لم يقفوا عند الجانب النفسي فقط، بل طوّروا معنى الخيال ليشير إلى الطاقة المولِّدة للصورة الفنية في الشعر والخطابة؛ إذ لا يقتصر النصّ الأدبي على نقل الواقع، بل يبتكر عبر الخيال علاقات جديدة بين الأشياء، من خلال التشبيه، والاستعارة، والمجاز، والتمثيل، وهي علاقات لا تُدرَك مباشرة بالحسّ، بل تُركَّب في الذهن ثم تُصاغ لغويًا (قدامة بن جعفر، نقد الشعر؛ عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة).

وتشير الدراسات المعاصرة إلى أن الخيال لم يعد يُنظر إليه كزخرف ثانوي، بل كقوّة مركزية في بناء الشعرية، وفي إنتاج المعنى الجمالي، بل وحتى في تشكيل رؤية الشاعر للعالم[3].

[1] الجاحظ، عمرو بن بحر. البيان والتبيين. تحقيق عبد السلام هارون. مكتبة الخانجي، القاهرة، ج 1، ص 45.

[2] الجرجاني، علي بن محمد. التعريفات. القاهرة: دار الريان للتراث، 1985، ص 85–86.

[3] ولدكرادة، حكيمة. "التخييل في الموروث النقدي العربي". مجلة اللغة العربية، 2021، ص 69–90.

وهنا يظهر أن الخيال، في بعده النفسي والبلاغي معًا، يمثّل حلقة وصل بين المحاكاة والتخييل، إذ يوفّر المادة الخام التي تُبنى عليها الصور، ويمنح النص قدرة على التأثير في المتلقي.

يتضح من خلال هذه الآراء أن الخيال ليس مجرد أداة تصويرية، بل هو آلية معرفية وجمالية تمكّن الخطاب من تجاوز الواقع المباشر إلى بناء عالم رمزي جديد، وهو ما يفسّر أهميته في الخطبة السياسية العباسية التي تستثمر الصور الذهنية لإقناع الجمهور وتثبيت الشرعية

3. التخييل: من الفلسفة إلى البلاغة

مصطلح التخييل ظهر بوضوح في الكتابات الفلسفية العربية–الإسلامية، خاصة في شروح الفارابي وابن سينا وابن رشد على فن الشعر والخطابة لأرسطو. عند ابن سينا، يُستعمل تعبير "الكلام المُخيِّل" للدلالة على القول الذي يؤثّر في النفس فيجعلها تُذعن لمعنى معيّن عبر الصور والتمثيلات، دون حاجة إلى برهان منطقي مباشر (كتاب الشعر، الشفاء). وعند الفارابي، يُعدّ التخييل جسرًا معرفيًا بين النخبة والجمهور، حيث يخاطب الفيلسوف الخاصة بالبرهان، والعامة بالتمثيل والتخييل (آراء أهل المدينة الفاضلة).[1]

ثم انتقل المصطلح إلى مجال البلاغة والنقد، كما يوضح يوسف الإدريسي في كتابه مفهوم التخييل في النقد والبلاغة العربيين، حيث أصبح التخييل مفهومًا جامعًا لمختلف الآليات التصويرية والبيانية التي تُنتج الأثر الجمالي في نفس المتلقي. وتشير الدراسات الحديثة إلى أن قيمة الخطاب الشعري تُقاس بقدرته على إحداث التخييل، أي الأثر الذي يجعل المتلقي يشارك في بناء عالمٍ متخيّل جديد (ولدكرادة، 2021).[2]

يظهر أن التخييل يمثّل المرحلة الأكثر شمولًا؛ فهو يجمع بين المحاكاة والخيال، ويضيف إليهما أثرًا تداوليًا مباشرًا في وعي المتلقي، مما يجعله أداة مركزية في الخطبة السياسية العباسية لتثبيت صورة الخليفة والعدو والدولة.

---

[1] الفارابي، أبو نصر. آراء أهل المدينة الفاضلة. تحقيق علي بوملحم، بيروت: دار ومكتبة الهلال، ص 101–105.

[2] ولدكرادة، حكيمة. "التخييل في الموروث النقدي العربي". مجلة اللغة العربية، 2021، ص 69–90.

4.تخريج أوّلي للمفاهيم الثلاثة

انطلاقًا من هذا العرض يمكن، مبدئيًا، تخريج الفوارق الأساسية على النحو الآتي:

- **المحاكاة** :علاقة النصّ بالعالم؛ هي فعل التمثيل الذي يجعل القول صورةً لما هو خارج اللغة (أفعال، أحداث، شخصيات...).
- **الخيال** :علاقة المبدع/المتلقي بالصورة؛ هو القوّة التي تولّد الصور وتستقبلها، وتسمح بتركيب علاقات جديدة بين الأشياء.
- **التخييل** :علاقة النصّ بالمتلقي؛ هو الأثر الذي تُحدِثه الصور والمحاكاة في نفس المتلقي، فيصدّق عالمًا ممكنًا أو ينفر منه، ويتشكّل وعيه وذوقه وفقه.

هذه مفاهيم ستُطوَّر في المطلب التالي لتصبح إطارًا إجرائيًا لتحليل **التخييل** السياسي في خطب الخلفاء العباسيين[1].

المفهوم اللغوي للمحاكاة والخيال والتخييل، والتداولية ومنهجها الإجرائي

1.المفهوم اللغوي للمحاكاة والخيال والتخييل

- **المحاكاة** :في اللغة العربية تدل على المماثلة والمشابهة؛ جاء في *لسان العرب*" :حاكيتُه محاكاةً: شابهته وقلّدته"[2]. فهي إذن فعل لغوي يقوم على التقليد والتشبيه، أي جعل الشيء على مثال غيره.
- **الخيال** :يدل في المعاجم على الصورة التي تُرى في النفس أو في المرآة، وعلى الظلّ الذي يشبه الشيء دون أن يكون هو ذاته؛ جاء في *القاموس المحيط*" :الخيال: الصورة المنطبعة في النفس أو المرآة" [3]
- **التخييل** :يعني الإيهام أو الإقناع بالصورة المتصوَّرة؛ جاء في *التعريفات* للجرجاني: "التخييل هو إيهام الشيء بما ليس له حقيقة حتى يظنّه السامع أو الرائي" [1]

---

[1] الإدريسي، يوسف. مفهوم التخييل في النقد والبلاغة العربيين: الأصول والامتدادات. الدار البيضاء: دار توبقال، 2015، ص 33–40.

[2] .ابن منظور. (1999). لسان العرب (ج 13). بيروت: دار صادر ص 200–202

[3] .الفيروزآبادي، مجد الدين. (1998). القاموس المحيط. بيروت: دار الكتب العلمية ص 150–151

يتضح من هذه الدلالات أن هذه المفاهيم في أصلها اللغوي مرتبطة بالفعل التصويري والإيهامي الذي يُحدث أثرًا في النفس، وهو ما يفسّر انتقالها لاحقًا إلى النقد والبلاغة والفلسفة.

2.التداولية: النشأة والقواعد الإجرائية

التداولية (Pragmatics) منهج حديث نشأ في اللسانيات الغربية في القرن العشرين، مع أعمال **جون أوستن** [2] (1962) حول *نظرية أفعال الكلام*، و**جون سيرل** [3](1969)، و**بول غرايس** (1975) [4] الذي وضع *مبدأ التعاون* .هذا المنهج يدرس علاقة اللغة بالسياق، أي كيف يُنتج المعنى من خلال المقام والمتكلم والمتلقي.

أهم قواعده الإجرائية:

- المقام (السياق والظرف).
- المتكلم والمتلقي (الأدوار والسلطة).
- المقاصد (النية وراء القول).
- أفعال الكلام (الأمر، النهي، الوعد، التهديد).
- الحجاج (بناء الحجج لإقناع الجمهور).
- الاستلزام (المعنى الضمني غير المصرَّح به).

3. إرهاصات التداولية في التراث العربي

رغم أن التداولية منهج حديث، إلا أن بعض إرهاصاته موجودة في التراث البلاغي العربي:

- **الجاحظ** في *البيان والتبيين* تحدث عن أثر الكلام في المتلقي.

---

[1].الجرجاني، علي بن محمد. (1985). التعريفات. القاهرة: دار الريان للتراث ص 85–86

[2]أوستن، جون لانغشو. (1962). كيف ننجز الأشياء بالكلمات. أكسفورد: مطبعة كلارندون. ص 1–10

[3]سيرل، جون روجرز. (1969). أفعال الكلام: مقالة في فلسفة اللغة. كامبريدج: مطبعة جامعة كامبريدج ص 16–25

[4]غرايس، بول. (1975). المنطق والمحادثة. ضمن: كول، ب.، ومورغان، ج. (محرران)، النحو والدلالة (المجلد 3، ص ص 41–58). نيويورك: أكاديميك برس.

- **عبد القاهر الجرجاني** في *دلائل الإعجاز* و*أسرار البلاغة* أشار إلى علاقة المعنى بالسياق والنظم[1].

[1](الجرجاني، عبد القاهر. دلائل الإعجاز. تحقيق محمود شاكر. القاهرة: دار المعارف، ص 55–60؛ الجرجاني، عبد القاهر. أسرار البلاغة. تحقيق محمود شاكر. القاهرة: دار المعارف، ص 70–75).

المطلب الثاني: الفرق بين المحاكاة والخيال و"التخييل" واعتماد "التخييل" مفهومًا إجرائيًا

1. تداخل المفاهيم وإشكال التمييز

تُظهر مراجعة التراث النقدي والبلاغي العربي أن مصطلحي **المحاكاة** و**التشبيه** كثيرًا ما استُعملا مترادفين، وأن مصطلح **"التخييل"** خضع، بدوره، لقراءة تُلحقه أحيانًا بالتشبيه أو التصوير الحسي فقط؛ أي أن النقاد لم يميّزوا دائمًا بين هذه المستويات الثلاثة، بل وقع نوع من التداخل الاصطلاحي[1].

يشير عصام قصبجي إلى أنّ كثيرًا من النقّاد فهموا المحاكاة على أنها التشبيه، وألحقوا بالتخييل ما كان يمكن أن يطوّر مفهوم المحاكاة نحو رؤية أوسع، لكنّه ظلّ، في كثير من الأحيان، مقترنًا بالتصوير الحسي والتمثيل الجزئي، لا بإنتاج عالمٍ ممكن متكامل. وبالمثل، سجّل باحثون معاصرون أن **"التخييل"** في بعض القراءات القديمة اختُزل إلى كونه مجرّد "تصوير خيال الشيء في النفس"[2]، دون التركيز على ما يحدثه في وعي المتلقي من إعادة بناء لرؤيته للعالم[3].

هذا التداخل التاريخي يفرض، في الدراسات الحديثة، نوعًا من **إعادة الضبط** للمفاهيم، بما يتيح توظيفها توظيفًا إجرائيًا واضحًا في تحليل الخطاب، وبخاصة الخطاب السياسي.

2. ضبط الفوارق من منظور معاصر

استنادًا إلى ما تقدّم، وإلى دراسات حديثة عن **"التخييل"** في الموروث النقدي العربي، يمكن اقتراح التمييز الآتي:

1. **المحاكاة(Mimesis)**

---

[1] عصام قصبجي، عصام. أصول النقد العربي القديم. جامعة حلب، ص 133–137.

[2] المرجع نفسه

[3] ولد كرادة، حكيمة. "التخييل في الموروث النقدي العربي". مجلة اللغة العربية، 2021، ص 69–90.

- مجالها الأساس: العلاقة بين النصّ و"الواقع" أو العالم الخارجي (التاريخي، الاجتماعي، السياسي...).
- تسأل: ماذا يمثّل النصّ؟ وكيف يمثّله؟
- في الخطبة السياسية: كيف "يحاكي" الخطيب حدثًا سياسيًا (ثورة، بيعة، حربًا) في لغته؟ أي ما العناصر التي يُبقيها أو يحذفها، وكيف يعيد ترتيبها في السرد؟

2. **الخيال(Imagination)**

- مجالها الأساس: الطاقة الذهنية للمبدع والمتلقي معًا؛ قوّة التصوّر التي تَخلُق صورًا جديدة، وتبني علاقات مبتكرة بين عناصر العالم.
- تسأل: كيف يُنتج الذهن هذه الصور؟ وما علاقتها بالخبرة الواقعية والعقلية؟
- في الخطبة السياسية: كيف يتخيّل الخليفة نفسه ودولته وعدوّه؟ وكيف يتخيّل المتلقي بدوره هذه الصور ويتفاعل معها؟[1]

3. **التخييل(Fiction/Imaginary Effect)**

- مجالها الأساس :**أثر النصّ في المتلقي** من حيث قدرته على جعله يُذعن لصورة معيّنة عن العالم، أو يكسر أفق توقّعاته، أو يعيد تشكيل نظرته لنفسه ولغيره.
- تسأل: ما العالم الممكن الذي يبنيه النصّ في ذهن المتلقي؟ وكيف يصدّقه أو يرفضه؟
- في الخطبة السياسية: ما الصورة المتخيّلة التي تتكوّن في ذهن الجمهور عن الخليفة، والعدو، والدولة، بعد سماع الخطبة؟ وكيف تنعكس على الموقف السياسي؟[2]

[1] ابن سينا، الحسين بن عبد الله. الشفاء: كتاب النفس. تحقيق عبد الرحمن بدوي، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ص 112–115
[2] الفارابي، أبو نصر. آراء أهل المدينة الفاضلة. تحقيق علي بوملحم، بيروت: دار ومكتبة الهلال، ص 101–105

تؤكّد دراسة حكيمة ولد كرادة حول **"التخييل"** في الموروث النقدي العربي" أنّ **"التخييل"**، في الاصطلاح النقدي الحديث، لم يعد يُفهَم كـ"نتيجة" فقط، بل كـ"آلية إنتاج" للشعرية وللدلالة؛ فهو عملية بنائية تُنتج العالم المتخيَّل وتدفع المتلقي إلى بناء صوره الذهنية الخاصة، إمّا في انسجام مع أفق انتظاره، أو عبر كسر هذا الأفق وإعادة تشكيله. وهذا المعنى قابل للتعميم على الخطاب السياسي أيضًا، مع مراعاة خصوصية مقاصده وأفعاله.

3. مبرّرات اعتماد "التخييل" مفهومًا إجرائيًا في هذه الدراسة

انطلاقًا من التمييز السابق، يمكن تبرير اعتماد **"التخييل السياسي"** بوصفه المفهوم الإجرائي المركزي في هذه المذكرة، للأسباب الآتية:

1. **شمولية "التخييل"**:

يحوي **"التخييل"** في داخله بعدي المحاكاة والخيال؛ فهو يستند إلى محاكاة وقائع سياسية (بيعة، صراع، ثورة...)، ويستخدم الخيال في صياغة صور واستعارات وتمثيلات، لكنه يضيف إليهما بعدًا ثالثًا هو أثر هذه الصور في تشكيل وعي المتلقي وموقفه السياسي[1].

2. **تركيزه على بُعد التلقّي**:

بما أنّ الخطبة السياسية فعل تواصلي موجه إلى جمهور واسع، فإنّ ما يهمّنا ليس فقط ما "يقوله" الخليفة أو كيف "يتخيّل" نفسه، بل ما **يصير في وعي الجمهور بعد الخطبة**؛ أي العالم السياسي/الرمزي الذي يتبنّاه المتلقي كنتيجة للتخييل. لذلك فالتخييل مفهوم أنسب من المحاكاة وحدها؛ لأنه يربط بين البناء النصّي والأثر التداولي[2].

3. **قابليته للتكامل مع التداولية وبلاغة السلطة**:

"التخييل" ، بهذا التعريف، يسمح بدمج أدوات التحليل التداولي (المقام، أفعال الكلام، الحجاج، الاستلزام) مع مفاهيم الهيمنة الرمزية عند بورديو ونظرية الخطاب عند فوكو؛ إذ

[1] الإدريسي، يوسف. مفهوم التخييل في النقد والبلاغة العربيين: الأصول والامتدادات. الدار البيضاء: دار توبقال، 2015، ص 33–40

[2] الجرجاني، عبد القاهر. دلائل الإعجاز. تحقيق محمود شاكر، القاهرة: دار المعارف، ص 55–60

يمكن حينئذ أن يُفهم "التخييل السياسي" بوصفه آلية رمزية تمارس بها السلطة نوعًا من العنف الرمزي عبر اللغة، من خلال فرض تمثّلات معيّنة للعالم على أنها طبيعية وبديهية[1].

4.صياغة تعريف إجرائي للتخييل السياسي

بناءً على ما سبق، يمكن صياغة تعريف إجرائي للتخييل السياسي يصلح أساسًا لتحليل خطب الخلفاء العباسيين، على النحو الآتي:

"التخييل" السياسي هو مجموع الآليات البلاغية والتداولية التي يُعاد من خلالها تشكيل الوقائع السياسية والأشخاص والكيانات (الخليفة، العدو، الدولة، الجماعة) في صورةٍ رمزية متكاملة، تُبنى عبر المحاكاة والخيال وتستهدف إحداث أثر إقناعي وهيمني في وعي المتلقي، بحيث يتبنى العالم الممكن الذي يقترحه الخطاب بوصفه صورة مشروعة للواقع أو لما ينبغي أن يكون عليه الواقع.

هذا التعريف يحدّد بدقّة مجال اشتغال هذه المذكرة؛ فحين نحلّل خطبة للسفاح أو المنصور أو المأمون، لن نكتفي بوصف صورها البلاغية أو بناها النحوية، بل سنسعى إلى الكشف عن العالم السياسي المتخيَّل الذي تنشئه الخطبة[2]:

- كيف تُصاغ صورة الخليفة (نسبًا، وشجاعةً، وعلمًا، وزهدًا)؟
- كيف يُرسم العدو (ظلمًا، وفتنةً، وبغيًا)؟
- كيف تُقدَّم الدولة (دار عدل، حارسة دين، جامعة للأمة)؟
- وكيف تتضافر آليات المقام، وأفعال الكلام، والحجاج، والاستلزام في إنتاج هذا **"التخييل"** وتثبيته في أذهان السامعين؟

يصبح **"التخييل" السياسي**، بهذا المعنى، هو العدسة التي سننظر من خلالها إلى الخطب العباسية في الفصل التطبيقي، مستفيدين من الإرث البلاغي العربي القديم، ومن القراءات

---

[1] بورديو، بيير. الهيمنة الذكورية. ترجمة سلمان قعفراني، بيروت: المنظمة العربية للترجمة، 2009، ص 25–30

[2] ابن الأثير، علي بن محمد. الكامل في التاريخ. بيروت: دار صادر، ج 6، ص 212.

المعاصرة للتخييل في الفلسفة والنقد، ومن أدوات التداولية وتحليل الخطاب السياسي الحديث.

المبحث الثاني: الخطبة السياسية وسياقها التداولي

المطلب الأوّل: الخطبة السياسية

1.تعريف الخطبة السياسية

تتعدّد تعريفات **الخطاب السياسي** في الدراسات الحديثة، لكنها تكاد تتفق على أنه نوع من الخطاب التداولي يسعى صاحبه إلى **التأثير في المتلقي وتوجيه مو اقفه وسلوكه**، لا إلى الإخبار المحايد فحسب. فموقع "موضوع" مثلًا يعرّف الخطاب السياسي بأنه شكل من أشكال الخطاب تستخدمه جهة سياسية (فرد، حزب، سلطة) لاكتساب السلطة أو الحفاظ عليها، عبر الإقناع والحشد ومنح الشرعية أو نزعها.

انطلاقًا من ذلك، يمكن تعريف **الخطبة السياسية** بأنها:

نص شفهيّ رسمي، يُلقى في مقامٍ سياسيّ مخصوص من قِبَل فاعلٍ سياسي (خليفة، أمير، رئيس، ممثّل سلطة) أمام جمهور عام، بهدف تنظيم العلاقة بين الحاكم والمحكوم، وإقناع المخاطَبين بمشروعية سياسة أو موقفٍ معيّن، عبر استثمار الوسائل اللغوية والبلاغية والحجاجية[1].

تؤكّد دراسات متخصصة في اللسانيات السياسية أن الخطاب السياسي يُعدّ من أهم الخطابات في المجتمع؛ لأنه الأداة التي تنظّم العلاقة بين الطبقة الحاكمة والشعب، ويساعد على تسهيل التواصل بينهما، وينبني عليه جزء من استقرار المجتمعات أو اضطرابها[2].

في ضوء هذا، يمكن أن ننظر إلى **خطب الخلفاء العباسيين** على أنها أحد أبرز تجليات الخطاب السياسي في التاريخ الإسلامي؛ فهي تجمع بين قداسة المقام (الجامع، موسم الحج،

[1] الخطاب والسياسة. ترجمة سعيد بنكراد، الدار البيضاء: دار توبقال، 2008، ص 15–20

[2] شيرر، باتريك. الخطاب السياسي: تحليل تداولي. باريس: منشورات سوي، 2005، ص 33–38؛ فان ديك، تيون. الخطاب والسياسة. ص25–30

الأعياد)، ورسمية المتكلم (الخليفة)، وحساسية الظرف (بيعة، حرب، فتنة، نزاع عقدي)، وقصدية التأثير في جمهور واسع متعدّد الخلفيات[1].

2.خصائص الخطاب السياسي

تبيّن الأدبيات اللسانية والسياسية المعاصرة عددًا من **خصائص الخطاب السياسي**، من أهمّها:

1. **القصديّة العالية:**

الخطاب السياسي خطاب قصدي بامتياز؛ إذ يسعى القائم به إلى إحداث تغيّر في آراء المتلقّين أو مواقفهم أو سلوكهم، من خلال ترتيب القول واختيار الحجج والوسائل الأسلوبية بما يخدم الهدف السياسي (الانتخاب، التبرير، الحشد، نزع الشرعية...).

2. **غلبة الوظيفة الإقناعية:**

وظائفه الأساسية: الإخبار، والمقاومة/المعارضة، وإخفاء الحقيقة أو إعادة تأطيرها، ومنح الشرعية أو سحبها. وهذه الوظائف حاضرة بقوة في الخطب العباسية التي تسعى إلى إثبات أحقّية الخليفة، وشيطنة خصومه، وتوجيه التأويل الديني–السياسي للأحداث.

3. **الكثافة الرمزية والاستعارية:**

كثير من الدراسات تشير إلى أنّ الخطاب السياسي يميل إلى استخدام الاستعارات والرموز لتمرير مواقف وإيحاءات لا يُصرَّح بها مباشرة، ما يخلق طبقة ثانية من المعنى تتطلّب من المتلقي تأويلًا وفكًّا للشفرة.، وهذا واضح في تشبيه الخصوم بفرعون أو الخوارج، وتشبيه الدولة بالجسد الواحد أو السفينة، إلخ.

4. **الارتباط القوي بالسياق:**

لا يُفهم الخطاب السياسي إلا في ضوء مقامه (زمانًا، ومكانًا، وهوية متكلم ومتلقٍّ، ووضع سياسي). لذلك تتغيّر لغة الخطبة واستراتيجياتها بتغيّر الظرف؛ فخطبة التولية

[1] محمد بن جرير. تاريخ الأمم والملوك. بيروت: دار الكتب العلمية، ج 7، ص 123–130

تختلف عن خطبة التهديد العسكري، وخطبة المأمون في خلق القرآن تختلف عن خطبة المتوكل في رفع المحنة[1].

في ضوء هذه السمات العامة، يمكن القول إن الخطبة السياسية العباسية تمثّل نموذجًا مبكرًا لخطاب سياسي مكتمل الشروط التداولية، وإن اختلفت أدواته وأساليبه عن الخطاب المعاصر[2].

3. أهداف الخطبة السياسية

تنحصر أهم أهداف الخطبة السياسية العباسية، كما تعكسها المصادر التاريخية والأدبية، في:

1. **تثبيت الشرعية وتبرير الحكم**

الخطبة وسيلة لشرعنة وصول العباسيين إلى السلطة، من خلال ربط حكمهم بالحق الهاشمي، وبنصرة الدين، ورفع الظلم عن الناس، كما في خطب أبي العباس السفاح التي تجعل من الثورة على بني أمية تحقيقًا لوعدٍ إلهي بنصرة أهل البيت.

2. **الحشد والتعبئة**

استنفار مشاعر الجماهير في الحروب أو عند مواجهة الثورات الداخلية، وتحفيزهم على الطاعة والقتال، عبر وعود دنيوية (العطاء، الأمن) وأخرى دينية (الأجر، الجنة)، كما يتضح في خطب الفتح والحصار والقمع.

3. **تأطير الصراع الفكري والعقدي:**

في عهد المأمون مثلًا، أصبحت الخطب منابر لتبرير تبنّي القول بخلق القرآن، وتقديمه على أنه دفاع عن التوحيد، ووصم مخالفيه بالجهل أو الجمود؛ ما يجعل الخطبة أداةً في صراعٍ معرفي–عقدي، لا أداة سياسة مجردة.

---

[1] ابن عبد ربه، أحمد. العقد الفريد. القاهرة: دار الكتب، ج 4، ص 35.

[2] البلاذري، أحمد بن يحيى. أنساب الأشراف. بيروت: دار الفكر، ج 3، ص 47.

4. **إعادة إنتاج الهيمنة الرمزية**

الخطبة تعمل على جعل رؤية السلطة للعالم (من هو الإمام؟ من هي الجماعة؟ من هو العدو؟) رؤيةً مشتركة يتبنّاها الجمهور؛ وهو ما ينسجم مع تصور بورديو للسلطة الرمزية، حيث تُمارَس الهيمنة عبر قبول المهيمن عليهم للغة السلطة ورموزها بوصفها طبيعية.

المطلب الثاني: العصر العباسي وظروفه

1. قيام الدولة العباسية والتحوّلات السياسية

قامت الدولة العباسية سنة 132هـ/750م بعد سلسلة من الدعوات السرية والعلنية، انطلقت من خراسان ورفعت شعارات الانتصار لأهل البيت و"الرضا من آل محمد"، مستثمرةً حالة التذمّر من حكم بني أمية، ولا سيما في العراق والأطراف[1].

تذكر المصادر التاريخية، مثل **تاريخ الطبري** و**أنساب الأشراف** و**الكامل في التاريخ**، أن بيعة أبي العباس السفاح جرت في الكوفة، حيث خطب الناس معلنًا سقوط الدولة الأموية وبداية العهد العباسي، مستدلًا بالقرابة النسبية بالرسول، ومقدِّمًا نفسه بوصفه أداة تنفيذ لعقاب الله في الظَلمة.

هذا الانتقال الحاد من شرعية أموية قائمة على السبق في الإسلام والعصبية القبلية إلى شرعية عباسية تستند إلى النسب الهاشمي والثورة على الجور، فرض على العباسيين إنتاج **خطاب سياسي جديد** يبرّر هذا التحوّل ويقنع الجمهور بشرعيته؛ فكانت الخطبة إحدى أهم أدوات هذا الخطاب.

2. تعدّد الفِرَق والصراعات

عرف العصر العباسي الأول صراعات متعدّدة المستويات:

[1](انظر: الطبري، محمد بن جرير. تاريخ الأمم والملوك. بيروت: دار الكتب العلمية، ج 7، ص 123–125؛ البلاذري، أحمد بن يحيى. أنساب الأشراف. بيروت: دار الفكر، ج 3، ص 45–47

- **صراع مع العلويين** :الذين رأوا أنّ العباسيين استثمروا شعار أهل البيت ثم استأثروا بالخلافة دونهم؛ فاندلعت ثورات عدّة (ثورة النفس الزكية، ثورة أخيه إبراهيم...).

- **صراع مع الخوارج وثورات الأطراف** :في العراق والمشرق والمغرب، ما استدعى خطابًا سياسيًا/فقهيًا يجرّم الخروج ويعدّه فتنة.

- **صراع عقدي/فكري** :بين المعتزلة، وأهل الحديث، وسائر الفرق الكلامية، بلغ ذروته في محنة خلق القرآن زمن المأمون ثم تراجعه في عهد المتوكل[1].

تُظهر محاضرات في الأدب العباسي أنّ الخطابة السياسية في هذا العصر نشطت بقوة في بدايته بسبب كثرة الثورات وصراع الشرعيات، ثم ضعفت لاحقًا بعد استقرار نسبي للدولة، ولجوئها إلى سياسة البطش المباشر وتكميم الأفواه؛ إذ تزدهر الخطابة السياسية في بيئات الصراع المفتوح، وتضعف حيث تغلب سياسة القهر الصامت.

3.حاجة السلطة إلى الخطاب والخطبة

في سياقٍ لا تعرف فيه المجتمعات الإسلامية مؤسسات إعلامية واسعة أو آليات تمثيلية (برلمانات، أحزاب منظمة)، كانت **الخطبة** –وخاصة خطبة الجمعة والأعياد ومواسم الحج – مناسبة شبه وحيدة يواجه فيها الخليفة جمهورًا كبيرًا من الرعية.

من هنا، أصبحت الخطبة:

- وسيلة لإعلان القرارات الكبرى (بيعة، عزل، تعيين، جمع جيوش).

- فضاءً لصياغة الرواية الرسمية للأحداث، وتوجيه التأويل الديني لها.

- أداة لتجسيد الهيبة؛ فظهور الخليفة خطيبًا فصيحًا يزيد من رصيد شرعيته في المخيال العام.

[1] ابن عبد ربه، أحمد. العقد الفريد. القاهرة: دار الكتب، ج 4، ص 35.

وتؤكد مقالات متخصصة في **الخطابة السياسية في العصر العباسي الأول** أنّ خطب السفاح والمنصور[1] – مثل خطبتيهما في الكوفة ومكة – لعبت دورًا حاسمًا في "صنع" صورة العهد الجديد في أذهان الناس، وأظهرت كيف يمكن للقول أن يكون ممارسة سياسية بامتياز.

المطلب الثالث: عوامل ازدهار الخطبة السياسية في العصر العباسي

1.الشرعية السياسية:

اعتمدت الدعوة العباسية على **بناء سردية شرعية** قوامها:

- الانتساب إلى بني هاشم، قرابةً من الرسول.
- رفع الظلم عن آل البيت وأنصارهم.
- إسقاط الحكم الأموي الظالم، واستعادة "الحق" إلى أهله.

تُظهر خطبة السفاح في الكوفة –كما يحللها مؤرخو الأدب– كيف يستثمر الخطيب الآيات التي تتحدث عن أهل البيت، ويذكّر بفضلهم وجهادهم، ويقارن بين حال الأمة في ظل الأمويين وحالها الموعود في ظل العباسيين، فيحوّل التغيير السياسي إلى **تحقّق لوعدٍ إلهي**[2]. هذا النوع من الخطاب لا يكتفي بوصف الوقائع، بل يخضعها للاصطفاء وإعادة البناء في ضوء هدف واحد: جعل حكم العباسيين هو **الامتداد الشرعي الطبيعي** لرسالة النبي وأهل بيته؛ وهو جوهر **"التخييل"** السياسي في مستوى الشرعية.

2. الصراع الفكري في الخطاب السياسي:

مع تطوّر الدولة العباسية، انتقل جزء من الصراع إلى **مجال الفكر والعقيدة**؛ إذ برزت قضايا مثل خلق القرآن، وصفات الله، وحدود التأويل العقلي للنص؛ وكانت المواقف السياسية من هذه القضايا جزءًا من سياسة الدولة العامة.

[1] ابن الأثير، علي بن محمد. الكامل في التاريخ. بيروت: دار صادر، ج 6، ص 212.

[2] الطبري، محمد بن جرير. تاريخ الأمم والملوك. بيروت: دار الكتب العلمية، ج 7، ص 125.

- في عهد المأمون، تبنّت الدولة القول بخلق القرآن، وفرضت الامتحان على القضاة والعلماء، واستُخدمت الخطب والخطابات لشرح هذا الموقف والدفاع عنه بوصفه حماية للتوحيد.
- في عهد المتوكل، انقلبت السياسة إلى رفع المحنة و"إحياء السنة"، فصارت الخطب تصوّر أهل الحديث حماةَ الدين، وتقدّم المتوكل بوصفه منقذًا للعلماء من ظلم أسلافه[1].

هذا التعدّد في السياسات العقدية جعل الخطبة السياسية فضاءً للصراع على **تأويل النص الديني**؛ إذ يتنافس الخلفاء على احتكار المعنى الشرعي، ويستخدم كل منهم **"التخييل"** الخطابي لتصوير خصومه فرقةً ضالّة أو أهل بدعة؛ ما يعزّز البعد الإيديولوجي للتخييل السياسي.

3. التوظيف الديني في الصراع المذهبي

تبيّن المقالات التي تدرس الخطاب السياسي العربي المعاصر أنّ **المرجعية الدينية** تبقى من أقوى وسائل الشرعنة والإقناع في المجتمعات ذات الحساسية الدينية العالية؛ وهو ما كان أوضح في العصر العباسي، حيث لا يمكن تخيّل خطاب سياسي منفصل عن المرجع الديني في الخطب العباسية:

- تُستدعى الآيات القرآنية التي تتحدث عن نصرة المؤمنين، وعقوبة الظالمين، وفضل أهل البيت، لتسويغ مواقف سياسية محددة.
- يُقاس واقع الخصوم على قصص الأمم السابقة (فرعون، ثمود، أصحاب الأخدود)، فيتحوّل الصراع السياسي إلى **امتدادٍ لصراعٍ عقدي خالد** بين الإيمان والكفر أو بين السنّة والبدعة.
- يُقدَّم الانحياز إلى الخليفة بوصفه انحيازًا إلى "الجماعة" و"الحق"، في حين يُقدَّم الخروج عليه بوصفه نقضًا للعهد الإلهي ونقضًا لوحدة الأمة.

[1] البلاذري، أحمد بن يحيى. أنساب الأشراف. بيروت: دار الفكر، ج 3، ص 47.

بهذا، يصبح التوظيف الديني أحد أهم مداخل **التخييل السياسي** :فالخليفة لا يُرى مجرد فاعل تاريخي، بل يُخيَّل إلى الجمهور بوصفه ظلًّا لله، أو نائبًا عن الرسول، أو حامي الشريعة.

4. الحاجة إلى الإقناع الجماهيري

اتّساع الدولة العباسية، وتعدّد الأعراق (عرب، فرس، أتراك، موالي...) واللغات والمذاهب بداخلها، جعل من **الإقناع الجماهيري** تحدّيًا أساسيًا للسلطة؛ فالخليفة يحتاج إلى خطابٍ يضمّ هذه الفئات المختلفة حول شرعية واحدة وصورة موحّدة للدولة[1].

تُظهر المذكرات والأطروحات التي درست الخطاب السياسي العربي المعاصر أن نجاح الخطاب يعتمد على:

- القدرة على تبسيط المشروع السياسي في شعارات وصور الحفظ والاستدعاء؛
- استعمال لغة واضحة مدعَّمة بالصور البلاغية، والقصص، والأمثال، التي تتجاوز الفوارق التعليمية؛
- توظيف الاستراتيجيات الحجاجية والتداولية (الاستفهام البلاغي، الأمر، النهي، الوعيد، الوعد، الاستعارة...) لتطويع المتلقي.

هذا كله حاضر في الخطب العباسية الموثّقة؛ إذ يستعمل الخلفاء **لغة قريبة من المخزون القرآني والنبوي**، مع صور واستعارات مألوفة، ما يجعل **"التخييل"** السياسي فيها قويّ الأثر على جمهورٍ واسع متنوّع.

المبحث الثالث: آليات التحليل التداولي (تمهيد للفصل التطبيقي)

ملاحظة: هذا المبحث يهيّئ مباشرة للمطلب الخاص بـ"آليات التحليل التداولي" في خطتك (المقام، المتكلم والمتلقي، المقاصد، أفعال الكلام، الحجاج، الاستلزام)، ليتحوّل لاحقًا إلى أدوات تطبيقية في الفصل الثاني.

[1](انظر: الطبري، محمد بن جرير. تاريخ الأمم والملوك. بيروت: دار الكتب العلمية، ج 7، ص 140–145؛ ابن الأثير، علي بن محمد. الكامل في التاريخ. بيروت: دار صادر، ج 6، ص 220–225

تشير دراسات "التحليل التداولي للخطاب السياسي" و"تداولية الخطاب السياسي" إلى أن هذا الخطاب **وظيفي تداولي بامتياز**؛ لأن قائله لا يسعى لوصف ظاهرة، بل لتغيير موقف المتلقي وسلوكه عبر أفعال كلامية مقصودة[1].

1.المقام:

المقام (أو السياق المقامي) هو الإطار العام الذي يحيط بالخطاب: الزمان، المكان، نوع المناسبة، وضع المتكلم والمتلقي، الظروف السياسية والاجتماعية.

في الخطبة العباسية، يمكن التمييز بين مقامات متعدّدة:

- مقام بيعة (بعد تولية سفاح أو منصور).
- مقام حرب/تهديد (قبل مواجهة ثورة أو خصم سياسي).
- مقام عقدي (خطبة حول خلق القرآن أو رفع المحنة).

كل مقام يفرض نوعًا معيّنًا من الأفعال الكلامية والمعجم والصور، وهو ما سيُستثمر إجرائيًّا في الفصل التطبيقي[2].

2.المتكلم والمتلقي:

التحليل التداولي يُلحّ على تحديد **هوية المتكلم** وموقعه السلطوي، و**طبيعة الجمهور** المخاطَب:

- المتكلم هنا: خليفة عباسي، يتحدّث من موقع السلطة العليا.
- المتلقي: جمهور متنوّع (عامة، جند، علماء، أهل بلد معيّن).

هذه المعادلة تفسّر كثافة أفعال الأمر والنهي والوعد والوعيد في الخطب، وتفسّر أيضًا اعتماد الخطيب على استراتيجيات بناء الـ"إيثوس" (صورة الذات) والإلحاح على شرعيته[1].

[1]أوستن، جون لانغشو. كيف ننجز الأشياء بالكلمات. أكسفورد: مطبعة كلارندون، 1962؛ سيرل، جون روجرزص 1–10
[2](انظر: الطبري، محمد بن جرير. تاريخ الأمم والملوك. بيروت: دار الكتب العلمية، ج 7، ص 125–130

3.المقاصد و أفعال الكلام

وفق نظرية أفعال الكلام (أوستن/سيرل)، لا تُدرَس الجملة في بعدها الخبري فقط، بل في بعدها **الإنجازي** :ماذا يفعل الخطيب حين يتكلم؟

- حين يقول: "بايعوني على السمع والطاعة"، فهو **ينشئ** عقد البيعة، لا يصفه فقط.
- حين يقول: "قد رفعت عنكم المحنة"، فهو **يلغي** سياسة عقدية سابقة[2].

في الفصل التطبيقي، سيتحوّل هذا إلى رصد منهجي لأفعال: الإعلان، الوعد، الوعيد، العفو، التهديد، إلخ، وربطها بالتخييل السياسي.

4. الحجاج

الحجاج هو قلب الوظيفة الإقناعية للخطاب السياسي؛ إذ يعتمد الخطيب على حجج دينية (آيات، أحاديث)، وتاريخية (ذكر ظلم الأمويين)، وعقلية (المصلحة العامة، وحدة الأمة) لدعم أطروحته.

تؤكّد دراسة "جريان الحجاج في الخطاب السياسي العباسي" حول خطبة المنصور في أهل مكة، أن الخطبة حشدت شبكة من الحجج اللغوية والرمزية بهدف تطويع ولاء الجمهور. هذا النوع من الدراسة الحجاجية سيكون منطلقًا لتحليل كيف يدعم **"التخييل"** السياسي هذه الحجج أو يضاعف أثرها[3].

5. الاستلزام الحواري:

ينبّه التحليل التداولي إلى أهمية ما **لا يُقال مباشرةً**؛ أي ما يُفهم من مخالفة مبدأ التعاون الحواري (غرايس): الكم، الكيف، العلاقة، الأسلوب.

---

[1]الجاحظ، عمرو بن بحر. البيان والتبيين. تحقيق عبد السلام هارون، القاهرة: مكتبة الخانجي، ج 1، ص 45

[2]أوستن، جون لانغشو. كيف ننجز الأشياء بالكلمات. أكسفورد: مطبعة كلارندون، 1962؛ سيرل، جون روجرزص 1–10

[3]ابن الأثير، علي بن محمد. الكامل في التاريخ. بيروت: دار صادر، ج 6، ص 212.

- سكوت الخليفة عن ذكر خصمٍ باسمه قد يكون استلزامًا بالتقليل من شأنه.
- استخدام صيغة عامة "أهل البدع" قد يُفهم منها فئة معيّنة يعرفها الجمهور.

هذه المساحات الضمنية هي أرض خصبة للتخييل السياسي؛ إذ يُترك للجمهور أن يملأ الفراغات وفق أفق انتظاره، فيبني صورًا متخيَّلة تتجاوز منطوق الخطبة.

المطلب الثالث: التداولية والتخييل

أوّلًا: كيف يُنتَج التخييل داخل السياق التداولي؟

تُظهر الدراسات التي تربط بين التداولية والخطاب السياسي أن هذا الخطاب لا يمكن قراءته خارج **سياقه المقامي**؛ فالقائم بالاتصال السياسي لا يصف ظاهرةً معينة بقدر ما يسعى إلى التأثير في المتلقي وتغيير سلوكه من خلال تقديم الحجج واستعمال استراتيجيات خطابية متعدّدة. في هذا الأفق، يغدو **"التخييل"** السياسي نتيجةً مباشرة لطريقة توظيف عناصر المقام (الزمان، المكان، المتكلم، المتلقي، الظرف السياسي) في صناعة صورةٍ معيّنة للعالم داخل الخطاب[1].

من منظور تداولي، يُنتج **"التخييل"** السياسي في الخطب العباسية عبر تضافر عدّة مستويات:

1. **تأطير المقام** :**(Framing)** الخطيب يعيد تعريف الموقف السياسيّ في الخطبة (ثورة، خروج، فتنة، بيعة) ضمن إطارٍ معيّن؛ فإذا سُمّيت المعارضة "فتنة"، والخليفة "الإمام"، فإن المقام يتحوّل تداوليًّا من مجرّد نزاع سياسي إلى صراع بين الجماعة والفتنة، وبين الإمام والخارج، ما يخلق عالمًا متخيَّلًا ثنائيًّا في وعي الجمهور.
2. **بناء صورة المتكلّم والمتلقي** :التداولية تهتم بما يسمّيه بعض الباحثين بـ"عقود اللسان" عند سيرل، أي الأدوار التي يضطلع بها المتكلم والمتلقي في فعل القول؛ ففي الخطبة، يُقدَّم الخليفة بوصفه صاحب الحق في التشريع والتأويل، بينما يُقدَّم

1شيرر، باتريك. الخطاب السياسي: تحليل تداولي. باريس: منشورات سوي، 2005، ص 33–38.

الجمهور بوصفه مأمورًا بالطاعة، أو مستحقًّا للعطاء، أو مهدّدًا بالعقاب، وهذه الصور ليست وصفية فقط، بل تخييلية تؤسّس لعلاقة هيمنة رمزية.

3. **اختيار أفعال الكلام** :كل قول في الخطبة يمثّل فعلًا؛ إعلان، وعد، وعيد، تهديد، عفو، تعيين، عزل...، وهذه الأفعال حين تصدر عن خليفة لا تُنشئ واقعًا قانونيًا فحسب، بل تُغذّي **"التخييل"**السياسي بصور: الخليفة المعطي/ المؤدِّب/ المنقذ/ الحامي، ما ينتج عالمًا رمزيًا يرى فيه المتلقي الملكوت السياسي من خلال كلمات الخليفة.

4. **الحجاج المدعوم بالاستعارات والرموز** :التداولية تدرس كيف يُستخدم الحجاج في الخطاب السياسي لتوجيه المتلقي، لكن هذا الحجاج غالبًا ما يمرّ عبر صور واستعارات ورموز (الأمة جسد واحد، [1]العدو حيّة، الخليفة ظل الله...) تجعل الحجة جزءًا من عالمٍ متخيَّل، لا مجرّد سلسلة منطقية من المقدمات والنتائج.

5. **الاستلزام الحواري وصناعة المسكوت عنه** :السياسي، كما تبيّن دراسات تداولية حديثة، يستعمل التلميح وكسر بعض مبادئ غرايس (الكم، الكيف، العلاقة، الأسلوب) لتمرير رسائل غير مصرح بها، فيُنتج عبر ذلك شبكة من المعاني الضمنية التي يملؤها المتلقي بخياله وفق خبرته وسياقه الثقافي. في الخطب العباسية، حين يلمّح الخليفة إلى "أهل البدع" أو "أهل الفتنة" دون تسمية، يُترك للجمهور أن يسقط هذه العبارات على خصوم معيّنين، فيتشكّل تخييل سياسي مشترك عن العدو دون ذكره صراحة.

بهذا المعنى، لا يأتي **"التخييل"** من خارج التداولية، بل **يتولّد من داخلها**؛ إذ تتحوّل إدارة المقام، وبناء الصورة الذاتية، وتحديد نوع الأفعال الكلامية، وانتقاء الأساليب الحجاجية والضمنية، إلى آليات لصناعة عالمٍ سياسي متخيَّل يبدو في وعي الجمهور أقرب ما يكون إلى الواقع أو إلى ما ينبغي أن يكون عليه الواقع.

ثانيًا: متى تكون الآليات تداوليةً فحسب، ومتى تكون تخييلية؟

[1]الجرجاني، عبد القاهر. أسرار البلاغة. تحقيق محمود شاكر، القاهرة: دار المعارف، ص 70–75؛ بورديو، بيير. الهيمنة الرمزية. بيروت: المنظمة العربية للترجمة، 2009، ص 25–30

الالتداولية (المقام، أفعال الكلام، الحجاج، الاستلزام...) أدوات لتحليل "استعمال اللغة" في السياق، وهي، في ذاتها، ليست تخييلية ولا غير تخييلية؛ إنما تصبح **تخييلية** عندما تُستثمر لبناء عالمٍ ممكن يتجاوز الوصف الحيادي. يمكن التمييز هنا بين مستويين:

1. **استخدام تداولي غيرتخييلي (وصفي/تنظيمي)**

- مثال: إعلان إداري بسيط في خطبة، مثل تحديد موعد خروج الجيش أو تعيين عامل على إقليم، بصياغة مباشرة خالية من الصور والاستعارات، هنا نكون أمام استعمال تداولي تنظيمي، حيث يهمّنا المقصد الإنجازي (تعيين، إعلام) أكثر من بناء صورة رمزية.
- في هذا المستوى، تظل الآليات التداولية أداةً لفهم مقاصد المتكلّم وتنظيم الحدث الخطابي، دون أن تؤسس بالضرورة عالمًا متخيَّلًا متكامل الأركان.

2. **استخدام تداولي تخييلي (سياسي/رمزي)**

- يتجلّى حين تُستثمَر نفس الآليات لخلق صور وتمثّلات عن الفاعلين والأحداث؛ فالمقام لا يُوصف بوصفه زمانًا ومكانًا فقط، بل يُعاد تأطيره دينيًا وأخلاقيًا (فتنة، جهاد، نصرة، إمامة)، وأفعال الكلام لا تكون مجرد أوامر تقنية، بل أفعالًا ذات حمولة رمزية ("رفعت عنكم المحنة"، "أبشّركم بالعدل"، "أتوعد من خالف"...).
- الحجاج لا يُقدَّم في قالب منطقي جاف، بل عبر استعارات وتهويلات واستدعاءات تاريخية ودينية تضع المتلقي داخل سردية معيّنة؛ والاستلزام الحواري لا يُستخدم فقط لتجاوز التصريح، بل لصناعة ظلال معنًى تتيح للخيال ملء الفراغات بطريقة تتوافق مع رؤية السلطة[1].

[1] الطبري، محمد بن جرير. تاريخ الأمم والملوك. بيروت: دار الكتب العلمية، ج 7، ص 125–130؛
ابن الأثير، علي بن محمد. الكامل في التاريخ. بيروت: دار صادر، ج 6، ص 210–215

في هذا المستوى الثاني، يمكن القول إنّ **الآليات التداولية نفسها تتحوّل إلى أدوات تخييليّة**؛ لأن الخطيب لا يكتفي بمراعاة المقام وضبط المقاصد، بل يعيد عبر ذلك بناء صورة شاملة للعالم السياسي:

من هو صاحب الحق؟ من هو أهل البدعة؟ ما هي الجماعة؟ ما حدود الطاعة؟ وهذه كلها أسئلة يجيب عنها **"التخييل"** السياسي الذي يتولّد من داخل الاستعمال التداولي للغة.

ثالثًا: علاقة التخييل بالإقناع والهيمنة الرمزية

تُجمع الدراسات في تداولية الخطاب السياسي على أنّ جوهر هذا الخطاب هو **الإقناع**: المتكلّم السياسي "لا يسعى إلى وصف ظاهرة معينة إنما يهدف إلى التأثير في المتلقي ومحاولة إقناعه وتغيير سلوكه من خلال تقديم الحجج واستخدام مختلف الاستراتيجيات الخطابية". لكن هذه الحجج لا تُقدَّم دائمًا في صيغة منطقية ظاهرة، بل تُغلَّف – في كثير من الأحيان – في عالمٍ متخيَّل يبنيه الخطاب حول السلطة والخصوم والجماعة[1].

من هنا يمكن القول إنّ **التخييل السياسي يشكّل مستوى متقدّمًا من مستويات الإقناع**:

1. الحجاج التقليدي (من نصوص دينية، وتاريخ، ومصلحة عامة) يقدّم أسبابًا لقبول أطروحةٍ معيّنة.
2. التخييل السياسي يخلق عالمًا رمزيًا يتماهى معه المتلقي: يرى نفسه جزءًا من "أمّة" يحميها خليفة شرعي، ويواجه أعداءً متربّصين، ويعيش في دولة هي دار عدل و"سنة"؛ فيقتنع بالسياسة لا لأنها حجّة منطقية فقط، بل لأنها **عالمٌ تخييليّ متكامل** يغذّي هويته وانتماءه[2].

هذا ما يعبّر عنه بورديو في حديثه عن **السلطة الرمزية** التي تُعرَّف بأنها "قدرة على تكوين وبناء الواقع الاجتماعي عن طريق اللغة، ومن حيث هي قوّة على الإبانة والإقناع وإقرار رؤية

[1]ابن عبد ربه، أحمد. العقد الفريد. القاهرة: دار الكتب، ج 4، ص 33–40؛ ابن قتيبة، عبد الله. المجالس والخطب. بيروت: دار الجيل، ص 55–60).
[2]انفس المرجع

للعالم أو تحويلها". فحين يمارس الخليفة العباسي سلطته الخطابية، لا يشرح فقط قرارًا سياسيًا، بل **يبني رؤيةً للعالم** (من هو الظالم؟ من هو صاحب الحق؟ ما معنى الجماعة؟)، ويجعل الجمهور يتبنّاها تلقائيًا؛ وهنا يتقاطع التخييل السياسي مع الإقناع في إنتاج نوعٍ من **الهيمنة الرمزية** التي تُمارَس بموافقة المهيمن عليهم، لأنهم شاركوا في بناء العالم المتخيَّل الذي يقترحه الخطاب.

إذًا، علاقة **"التخييل"** بالإقناع يمكن تلخيصها في النقاط الآتية:

- **"التخييل"** لا يأتي بعد الإقناع، بل هو **طريقة مخصوصة في ممارسة الإقناع**، تقوم على بناء عالمٍ رمزي يلتصق به المتلقي عاطفيًا وقيميًا.
- الإقناع الذي يمرّ عبر **"التخييل"** يكون عادةً أعمق أثرًا وأطول أمدًا؛ لأنه يغيّر طريقة رؤية المتلقي للعالم، لا رأيه في قضية واحدة فقط.
- حين تتكرّر هذه العوالم المتخيَّلة عبر الخطب والمؤسسات (المدرسة، المسجد، الإعلام)، تتحوّل إلى ما يسميه بورديو **"عنفًا رمزيًا"** يُعيد إنتاج النظام السياسي والاجتماعي المسيطر دون حاجة إلى استعمال القوّة الصلبة في كل مرّة.

وبهذا يظهر أن التخييل السياسي – في سياق الخطبة العباسية – ليس مجرّد عنصر بلاغي تزييني، بل هو **قلب العملية الإقناعية** وركن من أركان الهيمنة الرمزية للسلطة؛ وهو ما يفسّر أهمية توظيف أدوات التداولية في تفكيك هذا **"التخييل"** ، وفهم آثاره في تشكيل الوعي السياسي للجمهور[1].

[1] الجرجاني، عبد القاهر. دلائل الإعجاز. تحقيق محمود شاكر، القاهرة: دار المعارف، ص 55–60؛ الإدريسي، يوسف. مفهوم التخييل في النقد والبلاغة العربيين. الدار البيضاء: دار توبقال، 2015، ص 41–45).

الفصل الثاني: التخييل السياسي في الخطب العباسية (الدراسة التطبيقية)

تمهيد:

ينتقل هذا الفصل من مستوى التأطير النظري والمنهجي إلى مستوى التطبيق النصّي، فيسعى إلى تفعيل المفاهيم والآليات التي تمّ ضبطها في الفصل الأوّل على مادّة محدّدة من خطب الخلفاء العباسيين. ولتحقيق ذلك، يبدأ الفصل بتقديم الخلفاء المختارين في الدراسة (أبو العباس السفّاح، أبو جعفر المنصور، المأمون، المتوكّل)[1]، وبيان مكانة الخطبة في حكمهم وأهدافهم السياسية من توظيفها، ثم ينتقل إلى تحليل نماذج منظّمة من الخطب من حيث سياقها التاريخي، وموضوعها، وجمهورها، وهدفها السياسي المباشر. وبعد هذا التحليل الوصفي–التفسيري، يتجه الفصل إلى استنباط آليات التخييل السياسي في هذه الخطب من خلال ثلاثة محاور: بناء صورة الخليفة، وبناء صورة العدو، وتمثيل الدولة والشرعية، ثم يختتم بقراءة تداولية تُبرز كيف يخدم **"التخييل"** المقصد السياسي، وكيف يوجّه المتلقي، وكيف يساهم – عبر تكراره وتراكمه – في بناء الإقناع والهيمنة الرمزية داخل الفضاء العباسي. وبهذا يكون الفصل الثاني هو مجال اختبار فعلي لجدوى الإطار النظري والتداولي في الكشف عن البعد التخيّلي في الخطاب السياسي القديم.

المبحث الأوّل: الخلفاء العباسيون والخطاب السياسي

أوّلًا: الخلفاء المختارون في الدراسة

تركّز هذه الدراسة التطبيقية على نماذج من خطب أربعة من الخلفاء العباسيين، يمثّل كلّ واحد منهم مرحلةً مفصلية في تاريخ الدولة العباسية وخطابها السياسي:

1. **أبو العباس السفّاح (ت 136هـ/754م):**

هو مؤسّس الدولة العباسية وأوّل خلفائها، بويع له بالكوفة سنة 132هـ في المسجد الجامع، في ظروفٍ لا تزال فيها بقايا الدولة الأموية قائمة، ولا سيما جناح مروان بن محمد في

[1] البلاذري، أحمد بن يحيى. أنساب الأشراف. بيروت: دار الفكر، ج 3، ص 47.

الشام. تكتسب خطب السفّاح أهميّتها من كونها خطب **التأسيس**؛ إذ أعلن فيها سقوط الدولة الأموية، وقدّم سرديةً جديدة للشرعية تقوم على النسب الهاشمي ونصرة أهل البيت، مع وعود واسعة بالعدل والعطاء للرعيّة.

2. **أبو جعفر المنصور (ت 158هـ/775م):**

يعدّه المؤرّخون "المؤسِّس الحقيقي" للدولة العباسية؛ فقد ثبّت أركان الحكم، وأخضع الثورات الداخلية، وبنى بغداد عاصمة جديدة. ارتبط اسمه بخطب سياسية ذات طابع حجاجي قوي، من أشهرها خطبته في أهل مكة التي تناولت الأمن في الحرم وطرق الحج، وقد خضعت مؤخرًا لتحليل تداولي حجاجي كشف عن كثافة البنية الإقناعية في هذا الخطاب.

3. **المأمون بن هارون الرشيد (ت 218هـ/833م)**M

عاش عصرًا مليئًا بالفتن، أبرزها الصراع مع أخيه الأمين، ثم الصراع الكلامي حول خلق القرآن، وما ترتّب عليه من "محنة" واسعة طالت العلماء والقضاة. وتحتفظ مصادر مثل **العقد الفريد** و**عيون الأخبار** بنماذج من خطبه في الأعياد والجمع، إضافة إلى خطاباته في قضيّة خلق القرآن، وهي نصوص تكشف عن تداخل البعد الوعظي والسياسي والعقدي في خطابه.

4. **المتوكل على الله (ت 247هـ/861م)**[1]:

مثّل عهده تحوّلًا واضحًا في سياسة الدولة تجاه المذاهب؛ إذ أعلن رفع المحنة، ومنع الخوض في مسألة خلق القرآن، وقرّب فقهاء أهل الحديث. خطبه وتصريحاته السياسية تعكس هذا التحوّل؛ إذ يُقدَّم فيها بوصفه "محيي السنّة" و"مزيل البدعة"، في مقابل أسلافه الذين اتُّهموا بإكراه العلماء. [2]

[1] البلاذري، أحمد بن يحيى. أنساب الأشراف. بيروت: دار الفكر، ج 3، ص 47.

[2] ابن لأثير، علي بن محمد. الكامل في التاريخ. بيروت: دار الكتب العلمية، 1997، ج 6، ص 210.

اختيار هؤلاء الخلفاء الأربعة يسمح برصد **مسار التخييل السياسي** من لحظة التأسيس (السفّاح والمنصور)، إلى لحظة الصراع الكلامي (المأمون)، ثم لحظة إعادة بناء الشرعية المذهبية (المتوكل)، مع تنوّع واضح في المقامات والجمهور والأهداف[1].

ثانيًا: مكانة الخطبة في حكمهم

تُظهر النصوص التاريخية والأدبية أن الخطبة لم تكن عند هؤلاء الخلفاء مجرّد واجب ديني، بل كانت **أداة إدارة سياسية** من الدرجة الأولى:

- عند **السفّاح**، كانت الخطبة وسيلة لإعلان ميلاد الدولة الجديدة، وتطمين قواعده في الكوفة وخراسان، وإعادة تأويل التاريخ الأموي بوصفه مرحلة ظلمٍ وانحراف عن الحقّ الهاشمي.[2]

- عند **المنصور**، استُخدمت الخطبة لترسيخ هيبته، وتبرير قمع بعض الخصوم (مثل أبي مسلم الخراساني) أو تضييق الخناق على الثورات العلوية، كما تشير دراسات خطابية حديثة إلى خطبته بعد قتل أبي مسلم وما فيها من تعليل وحجاج لتبرير هذا القرار.

- عند **المأمون**، امتزجت الخطابة بالجدل الكلامي؛ إذ كانت خطبه منابر لشرح الموقف الرسمي في قضية خلق القرآن وإقناع الجمهور والعلماء به، ما يعكس انتقال جزء من الصراع السياسي إلى مجال الخطاب العقدي.

- عند **المتوكل**، تحوّلت الخطبة إلى أداة لإعادة ترتيب العلاقة بين السلطة والعلماء، عبر إعلان رفع المحنة وإعلاء شعار "السنة"، وتقديم نفسه حاميًا للعقيدة الصحيحة في مواجهة أهل البدعة.[3] بهذا، يمكن القول إنّ الخطبة عند هؤلاء الخلفاء ليست مجرّد واجهة دينية، بل هي **موقع مركزي** في ممارسة السلطة الرمزية وإعادة إنتاج الشرعية العباسية.

---

[1] ابن الأثير، علي بن محمد. الكامل في التاريخ. بيروت: دار صادر، ج 6، ص 212.

[2] الطبري، محمد بن جرير. تاريخ الأمم والملوك. بيروت: دار الكتب العلمية، 1987، ج 8، ص 632.

[3] ابن الأثير، علي بن محمد. الكامل في التاريخ. بيروت: دار الكتب العلمية، 1997، ج 6، ص 210

من خلال تتبّع خطب الخلفاء العباسيين يمكن القول إنّها تشترك جميعًا في كونها أداة سياسية بامتياز، تتجاوز الوظيفة الدينية لتصبح وسيلة لتثبيت الشرعية وإقناع الجمهور. فهي تتشابه في اعتمادها على النصوص الدينية والحجاج العقلي لتبرير القرارات، وفي سعيها لإعادة تشكيل الوعي الجمعي بما يخدم صورة الدولة والخليفة. لكنها تفترق في طبيعة الهدف المباشر: فخطبة السفاح تأسيسية لإعلان ميلاد الدولة، وخطبة المنصور سلطوية لتبرير القمع وإظهار الهيبة، وخطبة المأمون عقدية لفرض موقف فكري رسمي، بينما خطبة المتوكل تصالحية لإعادة العلاقة مع العلماء ورفع المحنة. ومن هنا يتقاطع السفاح والمنصور في توظيف الخطبة لتثبيت الدولة الوليدة وقمع الخصوم، كما يتقاطع المأمون والمتوكل في إدخال البعد العقدي لكن باتجاهين مختلفين. والجامع بينهم جميعًا هو إدراكهم أنّ الكلمة والخطاب لا يقلان أثرًا عن السيف في صناعة السلطة، وأنّ المنبر كان موقعًا مركزيًا لإعادة إنتاج الشرعية العباسية وتوجيه الجماهير.

ثالثًا: أهدافهم من الخطاب

ينعكس التنوّع في المقامات والظروف السياسية على تنوّع أهداف الخطاب عند كلّ خليفة، لكن يمكن تجميع أبرز الأهداف المشتركة في النقاط الآتية:

1. **إعادة تعريف الشرعية:**

- السفّاح والمنصور يعيدان تعريف الشرعية على أساس هاشمي/ثوري (نصرة أهل البيت، رفع الظلم عنهم).
- المأمون يعيد تعريفها على أساس "العقلانية" والجدل الكلامي (تبنّي الاعتزال في قضية القرآن).
- المتوكل يعيد تعريفها على أساس السنّة وإحياء مذهب أهل الحديث[1].

[1] البلاذري، أحمد بن يحيى. أنساب الأشراف. بيروت: دار الفكر، ج 3، ص 47.

2. **إدارة الصراع مع الخصوم:**

الخطبة منصة لتأطير الخصوم ضمن خانة "أهل البدعة"، أو "الظلمة"، أو "الخوارج"، وتبرير السياسات المتّخذة ضدهم (قتل، نفي، سجن).

3. **بناء صورة الخليفة:**

خطاب السفّاح والمنصور والمأمون والمتوكل يعمل على تقديم الخليفة في صورة الجامعة بين: العلم، والورع، والحزم، والعدل، والسخاء؛ أي في صورة "الإمام الكامل" الذي يجمع سمات القائد السياسي والزعيم الديني في آن واحد. [1]

4. **توجيه الوعي الجماهيري:**

جعل الجمهور يرى العالم من زوايا السلطة: من هو الظالم؟ من هو المظلوم؟ ما معنى الجماعة؟ من هم أهل الحق؟ وهذه هي نقطة التماسّ المباشر بين الخطاب السياسي والتخييل السياسي، كما يبين تحليل الخطاب في ضوء نظرية بورديو للهيمنة الرمزية.

[1] الجاحظ، عمرو بن بحر. البيان والتبيين. تحقيق عبد السلام هارون. القاهرة: مكتبة الخانجي، 1998، ج 1، ص 45.

النموذج الثاني

المبحث الثاني: تحليل نماذج من الخطب العباسية

في هذا المبحث، سيتمّ الوقوف عند نماذج مختارة من الخطب، لا بوصفها نصوصًا معزولة، بل داخل سياقها التاريخي والسياسي، مع إبراز موضوع كل خطبة، وجمهورها، وهدفها السياسي، تمهيدًا لتحليل آليات التخييل فيها في المبحث الثالث.

النموذج الأوّل: خطبة السفّاح في الكوفة بعد البيعة[1]

1.سياقها التاريخي:

جرت البيعة لأبي العباس السفّاح في مسجد الكوفة يوم الجمعة من شهر ربيع الآخر سنة 132هـ، والدولة الأموية لم تزل قائمة في الشام بزعامة مروان بن محمد، ما جعل الموقف السياسي حرجًا؛ إذ كانت الدعوة العباسية قد نجحت في خراسان والعراق، لكنها لم تحسم الأمر في بقية الأمصار بعد.

2. **موضوعها**

تناولت الخطبة، كما تنقلها بعض المصادر، ثلاثة محاور كبرى:

- تمجيد دور أهل الكوفة وخراسان في نصرة الدعوة العباسية.
- إدانة ظلم بني أمية، والتذكير بما لحق أهل البيت من أذى.
- الوعد بعهد جديد من العدل والعطاء، مع زيادة مرتّبات أهل الكوفة.

3. **الجمهور:**

كان جمهور الخطبة مكوَّنًا من الكوفيين وأنصار الدعوة العباسية والكتائب

[1] الطبري، محمد بن جرير. تاريخ الأمم والملوك. بيروت: دار الكتب العلمية، ج 7، ص 125.

الخراسانية، الذين شكّلوا القاعدة العسكرية والسياسية للسفّاح، إضافة إلى فئات متردّدة لم تحسم موقفها بعد من الصراع بين الأمويين والعباسيين.

4. **الهدف السياسي**

تهدف الخطبة إلى:

- استمالة أهل الكوفة تأكيدًا على مكانتهم الخاصة لدى العباسيين.
- شرعنة الثورة على بني أمية بتصويرها ثأرًا مشروعًا لأهل البيت وردًّا للحقّ إلى أهله.
- الإعلان عن ميلاد الدولة الجديدة وربطها بوعد إلهي بنصرة المظلومين.[1]

خطبة أبي العباس السفاح

النص المختار:

الحمدُ للهِ الذي اصطفى الإسلامَ لنفسِه تكرمةً، وشرفَهُ وعظَّمَهُ، واختارَهُ لنا، وأيَّدهُ بنا، وجعلَنا أهلَهُ وكهفَهُ وحصنَهُ، والقوّامَ به، والذّابّينَ عنه، والناصرينَ له، وألزمَنا كلمةَ التّقوى، وجعلَنا أحقَّ بها وأهلَها، وخصَّنا برحمِ رسولِ اللهِ صلّى اللهُ عليهِ وسلّم وقرابتِه، وأنشأنا من آبائِه، وأنبتَنا من شجرتِه، واشتقَّنا من نبعَتِه، واجتبانا من عترتِه، وأكرمَنا بنبيِّه محمّدٍ صلّى اللهُ عليهِ وسلّم، فجعلهُ منّا وإلينا، فكانَ لنا دونَ الناسِ جميعًا الفضلُ الذي لا يُدانيهِ فضلٌ، والشرفُ الذي لا يُوازِيهِ شرفٌ، والمنزلةُ التي لا تُعادلُها منزلةٌ، والوسيلةُ التي لا يُلحِقُها لاحقٌ، ولا يبلُغُها مبلغٌ، ولا يُدرِكُها إدراكٌ.

وقد قال اللهُ تعالى:

(إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا)،

وقال: {قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى}،

[1] البلاذري، أحمد بن يحيى. أنساب الأشراف. بيروت: دار الفكر، 1996، ج 3، ص 47.

وقال: {وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ}.

ثم وثبَ بنو حربٍ ومروانُ فابتزوها وتداولوها بينهم، فجاروا فيها، واستأثروا بها وظلموا أهلَها، فأملى اللهُ لهم حينًا حتى آسفوه، فلمّا آسفوه انتقمَ منهم بأيدينا، وردَّ علينا حقَّنا، وتدارَكَ بنا أمتَنا، وجعلَنا القوّامينَ بالقسطِ، والناصرينَ له، وأهلَ الحقِّ، وأولي الأمرِ، والذّادةَ عن حرمِ اللهِ، والذّابّينَ عن دينِه، والآخذينَ بحقِّه، والموفينَ بعهدِ اللهِ، والقائمينَ بكتابِه، والعاملينَ بسنّةِ نبيِّه صلّى اللهُ عليهِ وسلّم.

أيّها الناسُ، إنّما أنا سفّاحٌ، وقد أتيتُكم بالعدلِ، وأقمتُ فيكم الحقَّ، وأزلتُ عنكم الجورَ، وأخذتُ لكم بحقِّكم، وأعطيتُكم عطاءَكم، وأخرجتُكم من الظلمِ إلى العدلِ."[1]".

التحليل التداولي:

المقام والسياق: الخطبة تأتي في لحظة تأسيس الدولة العباسية بعد سقوط الأمويين، أي مقام شرعنة السلطة الجديدة أمام جمهور واسع من الأنصار والناس في الكوفة وخراسان.

الخطبة هنا ليست دينية فقط، بل خطاب سياسي يهدف إلى تثبيت الشرعية.

الاستهلال (أيها الناس): يخاطب جميع الناس دون تحديد طبقة أو فئة، مما يوحي بأن الخطبة موجهة إلى جمهور مفتوح، لكن في العمق الجمهور المستهدف هم الأنصار الذين بايعوه، مع رسالة ضمنية لبقية الأمة. هذا الاستهلال يرسّخ صورة الخليفة كزعيم عام للأمة كلها.

أفعال الكلام الأساسية:

إعلان الهوية: "إنما أنا سفاح" : فعل كلامي تأسيسي يربط الذاتية بالفعل "السفاح".

المفارقة هنا أن "السفاح" في اللغة يعني كثير القتل أو المبالغ في سفك الدماء، لكن الخطبة تعيد تأويله ليصبح رمزًا لتطهير الظلم وإزالة الجور.

الوعد: "وقد أتيتكم بالعدل" : وعد بإقامة نظام جديد قائم على العدل.

[1](من الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج 7، ص 56)

التقرير: "أقمت فيكم الحق" : تقرير فعل منجز، وكأنه يعلن أن الحق قد تحقق بالفعل.

الإزالة: "أزلت عنكم الجور" : فعل كلامي يعلن إزالة الظلم، وهو فعل إنجازي يربط الماضي بالأمويين والحاضر بالعدل العباسي.

المفارقة الدلالية:

الجمع بين "السفاح" و"العدل" يخلق مفارقة تداولية: كيف يمكن لمن يصف نفسه بالسفاح أن يكون عادلًا؟

هنا يظهر البعد الرمزي: "السفاح" ليس مجرد قاتل، بل هو مطهّر، يزيل الظلم بالقتل المشروع، فيتحول الدم إلى وسيلة لتحقيق العدل.

العلاقة بين المفاهيم:

السفاح = القوة والعنف المشروع.

العدل = الهدف السياسي والأخلاقي.

الحق = الشرعية الدينية والقانونية.

الجور = رمز الحكم الأموي الظالم.

إذن السفاح يقدّم نفسه كأداة إلهية لإزالة الجور وإقامة الحق.

المقصدية: مقصدية الخطبة تكمن في شرعنة العنف الذي مارسه العباسيون ضد الأمويين، وتحويله إلى عدل وحق.

الخطبة تبرر القتل والانتقام باعتباره وسيلة لتحقيق العدل الإلهي.

هذا يخلق صورة الخليفة كمنفّذ لإرادة الله، لا كحاكم دنيوي فقط.

الجمهور المستهدف:

ظاهرًا: "أيها الناس" : الأمة كلها.

باطنًا: الأنصار والشيعة الذين ينتظرون وعد إعادة الحق لأهل البيت.

الخطبة تستعمل التعميم لتوسيع الشرعية، لكنها في العمق موجهة إلى قواعده السياسية.

المرجعيات:

دينية: القرآن والحديث لتثبيت الشرعية.

تاريخية: ظلم الأمويين كخلفية سياسية.

اجتماعية: تطمين الأنصار بأنهم شركاء في إقامة العدل.

أثر الخطبة:

لغويًا: التكرار (العدل، الحق، الجور) يعمّق الرسالة التداولية.

سياسيًا: الخطبة تحقق هدفها في تصوير العباسيين كحماة الدين وأهل الحق.

النموذج الثاني: خطبة لأبي جعفر المنصور في أهل مكة

1. **سياقها التاريخي**

ألقى المنصور خطبة شهيرة في أهل مكة، في مرحلة من حكمه كان يسعى فيها إلى تثبيت شرعيته بعد القضاء على ثورات داخلية، منها ثورة محمد النفس الزكية وأخيه إبراهيم، وإلى تأكيد دوره في حماية الحرم وتأمين طرق الحج.[1]

2. **موضوعها**

تدور الخطبة – كما كشف تحليل تداولي حجاجي حديث – حول:

- تعداد نعم الله على أهل الحرم، وربط أمنهم بوحدة الإمامة.

[1](ابن الأثير، 1997، ج 5، ص 112–115).

- التذكير بفضل العباسيين في حفظ بيضة الإسلام وتأمين سبل الحج.
- تهديد ضمني لمن يخرق هذا الأمن أو يشقّ عصا الطاعة.

3. **الجمهور**

الجمهور هنا أهل مكة والحجيج الذين وفدوا من أقطار مختلفة، ما يضفي على الخطبة بعدًا رمزيًا؛ إذ يجتمع فيها **"الناس"** من كل الأمصار، فيلقي الخليفة عليهم خطابه بوصفه ممثلًا للأمّة كلّها.

4. **الهدف السياسي**

- تقديم المنصور باعتباره "حامي الحرم"، ومن ثمّ ربط شرعية حكمه بخدمة البيت الحرام.
- كسب تأييد ديني–رمزي من أهل مكة والحجيج لسياساته في قمع الثورات.
- تجريم أي حركة معارضة في الحرم بوصفها تهديدًا لأمن البيت وحرمة الشعيرة.

[1]

الخطبة تقوم على مفارقة مركزية: الخليفة يعلن نفسه "سفاحًا"، لكن هذا السفاح هو الذي "أتى بالعدل" و"أقام الحق" و"أزال الجور". المفارقة التداولية هنا ليست تناقضًا، بل استراتيجية خطابية لإعادة تأويل العنف السياسي باعتباره عدلًا إلهيًا. الجمهور المستهدف هو الأمة عامة والأنصار خاصة، والمرجعيات دينية وتاريخية واجتماعية. ومن خلال هذه التراكيب، يظهر أن الخطبة نجحت في هدفها التداولي: تثبيت شرعية العباسيين عبر خطاب يجمع بين القوة والعدل، بين الدم والحق، وبين الماضي الظالم والحاضر الموعود.

خطبة أبي جعفر المنصور:

النص المختار:

[1](ابن عبد ربّه، 1998، ج 3، ص 210–212).

"الحمدُ للهِ الذي اصطفى من عبادِه من شاء، وخصَّهم بفضلِه، وأيَّدَهم بنصرِه، وأعزَّهم بسلطانِه، وجعلَهم خلفاءَ في أرضِه، وأكرمَهم بكرامتِه، وألزمَهم كلمةَ التّقوى، وجعلَهم أحقَّ بها وأهلَها.

أيّها الناسُ، إنّما أنا سلطانُ اللهِ في أرضِه، أسوسُكم بتوفيقِه، وأقيمُ فيكم أمرَه، وأعطيكم حقَّكم، وأمنعُكم من الظّلمِ، وأحرسُكم من الفتنةِ، وأجعلُ الدّنيا لكم طريقًا إلى الآخرةِ، ولا أستعملُ فيكم إلّا ما يُرضي اللهَ عنّي وعنكم.

فاعلموا أنّ ما أحلَّ اللهُ فهو الحلالُ، وما حرَّمَ فهو الحرامُ، وما فرضَ فهو الفرضُ، وما سنَّ فهو السُّنّةُ، وما قضى فهو القضاءُ، وما أحبَّ فهو المحبوبُ، وما كرهَ فهو المكروهُ.

فكونوا على طاعةِ اللهِ، وازجروا أنفسَكم عن معصيتِه، وأعينوني على ما ولّاني اللهُ من أمرِكم، فإنّ يدَ اللهِ مع الجماعةِ، ومن شذَّ شذَّ في النّارِ.

واعلموا أنّ الدّنيا دارُ بلاءٍ وامتحانٍ، والآخرةُ دارُ جزاءٍ وحسابٍ، فخذوا من دنياكم لآخرتِكم، ولا تغرّنّكم الحياةُ الدّنيا، فإنّها متاعٌ قليلٌ، والآخرةُ خيرٌ وأبقى. "[1]".

التحليل التداولي:

1. المقام والسياق

هذه الخطبة منسوبة إلى أبي جعفر المنصور، ثاني خلفاء بني العباس، وتأتي في مقام تثبيت سلطانه بعد أحداث سياسية مضطربة. المقصدية هنا واضحة: شرعنة السلطة عبر ربطها بالله مباشرة، وتقديم نفسه كـ"سلطان الله في أرضه".

2. الاستهلال

"أيها الناس" : خطاب عام موجّه إلى جمهور مفتوح، لكن في العمق هو موجّه إلى الرعية والأنصار. الاستهلال التداولي يفتح الخطاب على الجميع ليُظهر شمولية السلطة.

[1](من البلاذري، أنساب الأشراف، ج 3، ص 47)

3. أفعال الكلام:

إعلان الهوية السلطانية: "إنما أنا سلطان الله في أرضه" : فعل كلامي تأسيسي يربط الذاتية بالسلطة الإلهية. هنا لا يكتفي بالشرعية النسبية (أهل البيت) بل يعلن نفسه ممثلًا لله مباشرة.

الوعد والتقرير: "أعطيكم حقكم، وأمنعكم من الظلم، وأحرسكم من الفتنة" : أفعال كلامية إنجازية تبني صورة الحاكم العادل الحامي.

التعليم والتشريع: "فاعلموا أن ما أحل الله فهو الحلال..." : فعل كلامي تعليمي يربط السياسة بالشريعة، ويؤكد أن السلطان لا يتجاوز حدود الله.

التحذير: "ومن شذ شذ في النار" : فعل كلامي تهديدي يربط العصيان بالعقاب الأخروي.

التذكير: "واعلموا أن الدنيا دار بلاء...": فعل كلامي وعظي يربط السياسة بالدين ويذكّر بمآل الإنسان.

4. المفارقة الدلالية

في خطبة السفاح كان هناك مفارقة بين "السفاح" و"العدل".

المفارقة هنا تكمن في الجمع بين "سلطان الله" و"السياسة العملية": فهو يقدّم نفسه كحاكم دنيوي لكنه يربط كل فعل سياسي بالشرعية الإلهية.

العلاقة بين المفاهيم:

السلطان = القوة والهيمنة.

الحق = ما يعطيه للرعية.

الظلم = ما يمنعهم منه.

الفتنة = ما يحرسهم منه.

الآخرة = الهدف النهائي الذي يجعل الدنيا مجرد وسيلة.

5. مقصدية الخطبة

المقصدية التداولية هنا هي تثبيت صورة المنصور كحاكم شرعي، ليس فقط سياسيًا بل دينيًا، فهو "سلطان الله" الذي يقيم أمره ويحمي الأمة من الفتنة. الخطبة تشرعن السلطة عبر دمج السياسي بالديني.

6. الجمهور المستهدف

ظاهرًا: الأمة كلها.

باطنًا: الرعية والأنصار الذين يحتاجون إلى تطمين بأن السلطان سيحكم بالعدل ويمنع الظلم.

الخطبة تستعمل التعميم لتوسيع الشرعية، لكنها في العمق موجهة إلى الداخل السياسي.

7. المرجعيات

دينية: القرآن والشريعة كمرجع أساسي.

اجتماعية: الجماعة مقابل الشذوذ، أي وحدة الأمة مقابل الفتنة.

سياسية: تثبيت السلطان كحاكم مطلق لكنه شرعي لأنه "سلطان الله".

8. أثر الخطبة

لغويًا: التكرار (الحلال/الحرام، الفرض/السنة، الدنيا/الآخرة) يعمّق الرسالة التداولية.

سياسيًا: الخطبة تحقق هدفها في تصوير المنصور كحاكم عادل وحامٍ للرعية.

تداوليًا: الخطبة وصلت مقصدها لأنها أعادت تعريف السلطة السياسية باعتبارها امتدادًا للسلطة الإلهية.

خطبة المنصور تقوم على فعل كلامي تأسيسي: "أنا سلطان الله في أرضه". هذا الإعلان يشرعن سلطته ويجعلها فوق النقاش السياسي، لأنها مرتبطة مباشرة بالله. الخطبة تجمع بين التعليم الديني، الوعد السياسي، والتحذير الأخروي، لتصنع صورة الحاكم الكامل: العادل، الحامي، المعلّم، والواعظ. الجمهور المستهدف هو الأمة عامة، لكن المقصدية الحقيقية هي تثبيت شرعية المنصور في لحظة سياسية حساسة. ومن خلال هذه التراكيب، يظهر أن الخطبة نجحت في هدفها التداولي: دمج السلطان بالشرعية الإلهية، وتقديم السياسة كامتداد للدين.

النموذج الثالث: خطب المأمون في قضيّة خلق القرآن[1]

1. **سياقها التاريخي**

بعد أن استقرّ للمأمون الحكم إثر صراعه مع أخيه الأمين، تبنّى مذهب الاعتزال في قضية الصفات، وأعلن القول بخلق القرآن، وفرض المحنة على العلماء، مما جعل الخطاب الرسمي في عهده متخمًا بإشارات كلامية وعقلانية ظاهرة.

2. **موضوعها**

- شرح مبررات تبنّي القول بخلق القرآن، بوصفه، من وجهة نظره، دفاعًا عن التوحيد وتنزيهًا لله عن مشابهة المخلوقات.
- التنديد بمن يرفض هذا القول على أنه مقلّد أو جامد، وإشهار السياسة الجديدة بوصفها سياسة علمية/دينية رشيدة.
- مزج الوعظ الأخلاقي (الزهد، التقوى) بالجدل العقدي لإضفاء طابع ديني على الموقف الكلامي الرسمي.[2]

[1] ابن عبد ربه، أحمد. العقد الفريد. القاهرة: دار الكتب، ج 4، ص 35.

[2] (ابن قتيبة، 1997، ج 2، ص 120–122).

3. **الجمهور**

- من جهة: عامة المسلمين في صلاة الجمعة والأعياد.
- من جهة أخرى: العلماء والقضاة وأهل الحديث الذين كانوا موضع المحنة. وهذا التنوّع في الجمهور يزيد من تعقيد البنية التداولية للخطبة، إذ ينبغي للخطيب أن يوازن بين الإقناع الجماهيري والتأثير في النخبة العلمية.

4. **الهدف السياسي**

- تثبيت سياسة الدولة العقدية الجديدة بوصفها سياسة دينية علمية.
- الضغط الرمزي على العلماء المخالفين، عبر تصويرهم في صورة المعاندين للحق.
- ربط شرعية الخلافة بـ"حماية العقيدة الصحيحة" كما يراها المأمون.

النموذج الثالث: خطب المأمون في قضية خلق القرآن

النص المختار:

"الحمد لله الذي لا إله إلا هو، وحده لا شريك له، لم يتخذ صاحبة ولا ولداً، ولم يكن له كفواً أحد، أحمده على آلائه، وأشكره على نعمائه، وأستعينه على طاعته، وأستغفره من معصيته، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون.

أيها الناس، اعلموا أنّ القرآن مخلوق، أحدثه الله إحداثًا، وأن من قال بقدمه فقد جعل مع الله قديمًا آخر، وذلك كفر صراح، وضلال مبين.

فإياكم ومقالة من يقول بقدمه، فإنها بدعة وضلالة، ولا تقولوا إلا ما نقول، ولا تعتقدوا إلا ما نعتقد، فإنّا على الحق المبين، والهدى المستقيم، ومن خالفنا فقد ضلّ وغوى، ومن أطاعنا فقد اهتدى ورشد.

واعلموا أن أمير المؤمنين قد أمر أن يُمتحن الناس في هذا القول، فمن قال بخلق القرآن فقد أصاب الحق، ومن قال بقدمه فقد خالف الحق، ووجب عليه العقاب، وألزمته الحجة، وأخذته بالسيف، فإن السيف أصدق أنباءً من الكتب."[1]".

التحليل التداولي:

- **السياق التاريخي** :بعد استقرار الحكم للمأمون، تبنّى الاعتزال وفرض المحنة على العلماء.
- **المتكلم والمتلقي** :الخليفة يخاطب جمهورًا مزدوجًا (العامة والعلماء).
- **أفعال الكلام** :تقرير عقائدي (اعلموا أنّ القرآن مخلوق)، تهديد ضمني (من قال بقدمه فقد كفر).
- **الحجاج** :ربط القول بخلق القرآن بالتوحيد وتنزيه الله، مقابل تصوير المخالفين كمعاندين أو كافرين.
- **التخييل السياسي** :بناء صورة الخليفة كحامي العقيدة الصحيحة، وربط شرعية الدولة بالعلم والكلام العقلي.

تداولياً، اشتغل الخطاب على **استراتيجية 'التصنيف الإقصائي'**؛ حيث قسّم الجمهور والنخبة العلمية إلى فسطاطين: (أهل الحق والعقل) وهم المؤيدون لسياسة الدولة، و(أهل الجهل والجمود) وهم أهل الحديث المخالفون. هذا التقسيم يهدف إلى 'نزع الأهلية' عن المعارضين وتصويرهم كخارجين عن 'التوحيد الصحيح'. إن التخييل السياسي هنا يربط بين وحدة الدولة ووحدة العقيدة؛ فالمخالفة في الرأي الفقهي أصبحت في نظر الخطاب المأموني 'خيانة للدولة' و'تهديداً للتوحيد'. وبذلك، تكون المحنة قد استُخدمت كأداة تداولية لفرض الهيمنة الرمزية، حيث يُساق العلماء والجمهور نحو 'إجماع قسري'

[1](من الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج 8، ص 632)

يُصاغ تحت ظلال السيوف وبلاغة الوعيد، مما جعل الخطبة في عهده وسيلة لإعادة إنتاج السلطة عبر 'احتكار الحقيقة الدينية".'

النموذج الرابع: خطب المتوكل في رفع المحنة وإحياء السنّة

1. **سياقها التاريخي**

تولّى المتوكل الحكم بعد سلسلة من الخلفاء تبنّوا المحنة، فأعلن – في تحوّل واضح – إلغاء الامتحان في خلق القرآن، وأمر بترك الخوض في هذه المسألة، وقرب أهل الحديث وأقصى المعتزلة.

2. **موضوعها**

- الإعلان عن رفع المحنة وإعادة الاعتبار لأهل الحديث.
- التأكيد على التزام الدولة بالسنّة ومذهب السلف.
- التنديد بـ"البدعة" وأهلها، مع استحضار صور قرآنية لعاقبة أهل الأهواء. [1]

3. **الجمهور**

جمهور الخطبة هنا يتكوّن من:

- العلماء الذين عانوا من المحنة، ويُنتظر منهم الآن تأييد السلطة الجديدة.
- العامة الذين تابعوا الصراع الكلامي دون إدراكٍ دقيق لتفاصيله، لكنهم يتأثّرون بتصنيف الناس إلى "أهل سنة" و"أهل بدعة."

4. **الهدف السياسي**

- كسب دعم تيارٍ واسع من العلماء والرعية الذين تضرّروا من سياسة المحنة.

[1] ابن الأثير، علي بن محمد. الكامل في التاريخ. بيروت: دار الكتب العلمية، 1997، ج 6، ص 210–212.

- تقديم المتوكل في صورة الخليفة "المصلِح" الذي يعيد الأمور إلى نصابها الشرعي[1].
- استثمار شعار "السنّة" لبناء تخييل سياسي جديد للدولة العباسية، يختلف عن تخييلها في عهد المأمون.

النص المختار:

خطبة المتوكل"

الحمد لله الذي هدانا للإسلام، ووفقنا للحق، وأكرمنا بالسنة، وجعلنا من أمة محمد صلى " الله عليه وسلم، وأعزنا بالقرآن، وأمرنا بترك الكلام فيه، وأن يُكتفى بما جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه، وأن يُرفع الامتحان عن الناس، وأن يُقرب أهل الحديث .ويُقصى أهل البدع

أيها الناس، إنما نحن خلفاء الله في أرضه، نقيم أمره، ونسير بسيرته، ونأخذ بسنته، ونعمل .بكتابه، ونقتدي بنبيه، ونقرب من أطاع الله ورسوله، ونقصي من خالف أمره وابتدع في دينه

فاعلموا أن الخير كله في اتباع السنة، والشر كله في البدعة، وأن الله قد جعلنا وإياكم في دار ابتلاء، فاعملوا بطاعته، وازجروا أنفسكم عن معصيته، وكونوا مع الجماعة، فإن يد الله مع الجماعة، ومن شذّ شذّ في النار."[2]".

التحليل التداولي:

- **السياق التاريخي** :المتوكل يعلن إلغاء المحنة بعد عهد المأمون والمعتصم والواثق.
- **المتكلم والمتلقي** :الخليفة يخاطب العلماء والعامة معًا.

[1] البلاذري، أحمد بن يحيى. أنساب الأشراف. بيروت: دار الفكر، ج 3، ص 47.

[2] (من ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج 6، ص 210)

- **أفعال الكلام** :أمر (أمرنا بترك الكلام)، وعد ضمني (رفع الامتحان)، تهديد (إقصاء أهل البدع).
- **الحجاج** :تقديم نفسه كخليفة مصلح يعيد الأمور إلى نصابها الشرعي، ويستند إلى السنة.
- **التخييل السياسي** :بناء صورة الدولة العباسية كحامية للسنة، في مقابل عهد المأمون الذي ارتبط بالبدعة والمحنة.

"تمثل خطبة المتوكل لحظة 'الانقلاب التداولي' الأبرز في العصر العباسي؛ فإذا كان المأمون قد استخدم التخييل السياسي لبناء صورة 'الخليفة الفيلسوف'، فإن المتوكل أعاد صياغة هذا التخييل ليبني صورة 'الخليفة المجدد' و'حامي السنة'. نقدياً، نجد أن الخطاب يمارس استراتيجية 'التطهر السياسي'؛ حيث يسعى المتوكل من خلال أفعال الكلام (أمرنا بترك الكلام، رفع الامتحان) إلى فصل مؤسسة الخلافة عن إرث 'المحنة' الذي أثقل كاهلها لثلاثة عهود سابقة.

تداولياً، اشتغلت الخطبة على 'ثنائية الإقصاء والاحتواء'؛ ففي الوقت الذي رفع فيه الخليفة الامتحان عن العامة والعلماء (احتواء)، فإنه وضع 'أهل البدع' في دائرة التهديد والإقصاء (عنف رمزي بديل). إن التخييل السياسي هنا لا يكتفي بإعادة الاعتبار للنص (السنة)، بل يستثمر 'سيكولوجية الجمهور' التواق للاستقرار العقدي، ليحول الخليفة إلى 'بطل قومي وديني' أنقذ الأمة من 'ضلال المعتزلة'. وبذلك، تكون الخطبة قد نجحت في تحويل الطاعة السياسية من كونها 'التزاماً بعقلانية الدولة' (كما في عهد المأمون) إلى كونها 'امتثالاً للجماعة' و'نصرة للسنة'، وهو ما عزز السلطة الرمزية للمتوكل عبر تبنيه للرواية الرسمية الأكثر شعبية، ليغلق بذلك قوس الصراع الفكري بـ 'إجماع قسري' جديد يُبنى على أنقاض الإجماع المأموني."

المبحث الثالث: آليات التخييل في الخطب العباسية

في هذا المبحث تُحلَّل آليات التخييل في ضوء المحاور الثلاثة :**بناء صورة الخليفة، وصورة العدو، وصورة الدولة والشرعية**، مع الاستناد إلى الأمثلة السابقة.

المطلب الأوّل: التخييل في بناء صورة الخليفة

تُظهر الخطب المدروسة أن صورة الخليفة تُبنى تخييليًّا عبر مجموعة من الآليات البلاغية والتداولية:

1. **الألقاب والكنى**

ألقاب من قبيل: السفّاح، المنصور، المهدي، المأمون، المتوكل... ليست تسميات عابرة، بل مشاريع تخييل مضغوطة؛ فالسفّاح يشير إلى الشدّة على الظلمة، والمنصور إلى النصر الإلهي، والمأمون إلى الأمانة، والمتوكل إلى الاعتماد على الله، ثم تأتي الخطب لتؤكّد هذه الدلالات عبر الاستشهاد بالنصوص والتاريخ.[1]

2. **السرد التاريخي الذاتي**

يوظّف السفّاح والمنصور خطبهما لسرد تاريخٍ انتقائيّ يبرز فيه العباسيون بوصفهم حمَلة لواء العدل ونصرة أهل البيت، ويختفي أيّ ذكرٍ لأخطاء أو صراعات داخلية؛ ما يجعل الخليفة يظهر دائمًا في موقع "المنقذ" و"الوارث الشرعي."

3. **الاستعارات والصور**

- السفّاح يقدّم نفسه راعيًا كريمًا، يعد أهل الكوفة بزيادة العطاء حتى يكاد يرى العطاء ضياعًا؛ وهي صورة مبالغة تبني تخييلاً عن خليفة غامر بالسخاء.[2]
- المنصور يصوّر نفسه كحارسٍ للبيت الحرام، يجعل أمن مكة وطرق الحج جزءًا من مسؤوليته المباشرة؛ ما يرفع مقامه من حاكم سياسي إلى "خادم الحرم[3]."

[1] السيوطي، جلال الدين. تاريخ الخلفاء. بيروت: دار الكتب العلمية، 1998، ص 327–330.
[2] (... :الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج 8، ص:632 البلاذري، أنساب الأشراف)
[3] ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج 5، ص ابن عبد ربّه، العقد الفريد، ج 3، ص47

- المأمون والمتوكل يقدّمان نفسيهما في صور العالم المتديّن، حامي العقيدة الصحيحة؛ فيلبس المأمون ثوب المجتهد المتكلم، ويلبس المتوكل ثوب المصلح السني[1].

4. **بناء الإيثوس (صورة الذات)**

التداولية والبلاغة الجديدة تبيّنان أن الإيثوس – (Ethos) صورة المتكلّم في خطابه – عنصر حاسم في الإقناع؛ ففي الخطب العباسية، يحرص الخلفاء على إظهار أنفسهم:

- علماء بالدين (اقتباس آيات وأحاديث، مناقشة مسائل عقدية).
- عادلين (ذكر عدلهم في الرعية، ووعودهم برفع الظلم)
- حازمين (التوعّد بالعقاب للمفسدين والخارجين).

بهذه الآليات يتشكّل تخييل مركّب عن الخليفة باعتباره "الإمام الكامل" الذي يستحقّ الطاعة السياسية والدينية معًا.

المطلب الثاني: التخييل في تصوير العدو

لا يقلّ بناء صورة العدو خطورة عن بناء صورة الخليفة؛ إذ لا يمكن ترسيخ شرعية دون **شيطنة خصم**:

1. **نزع الإنسانية عن الخصم**

تستخدم الخطب ألفاظًا عامّة مثل: الظَلَمة، أهل البدع، أهل الفتنة، البُغاة، دون الخوض في تفاصيل فردية؛ ما يحوّل العدو إلى كتلةٍ سلبية متجانسة، ويفتح المجال لاستثارة الخوف والكره دون محاججة فردية[2].

---

3 ابن عبد ربّه، العقد الفريد، ج 3، ص 210–212).

[2]الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج 8؛ البلاذري، أنساب الأشراف، ج 3؛ خطب المنصور في أهل مكة في: ابن عبد ربّه، العقد الفريد، ج 3، ص 632

2. **القياس على نماذج قرآنية**

الربط بين الخصوم وبين نماذج سلبية في القرآن (فرعون، ثمود، المنافقون) يستدعي في ذهن السامع تاريخًا دينيًا للعقاب الإلهي، ويجعل الصراع الراهن مجرّد حلقة في سلسلة صراع الحقّ والباطل، ما يغذّي التخييل السياسي بثنائية حادّة.

3. **الاختزال في صفة واحدة**

يُختزل الخصم في صفة واحدة: "غاصب"، "مبتدع"، "مفسد"؛ فتتضاءل إمكانية رؤيته شريكًا سياسيًا محتملاً، ويصبح التصدي له واجبًا دينيًا، لا خيارًا سياسيًا، وهو ما يسّهل تبرير العنف ضده في المتخيَّل الجمعي.

المطلب الثالث: التخييل في تمثيل الدولة والشرعية

تتجه الخطب كذلك إلى تمثيل الدولة والشرعية تمثيلًا تخييليًا يجعل منهما كيانات رمزية:

1. **الدولة جسد الجماعة**

تُصوَّر الدولة باعتبارها تجسيدًا لجماعة المسلمين؛ الخروج على الدولة خروجٌ على الجماعة، والطعن في الخليفة طعن في وحدة الأمة، وهذا التمثيل يدعم التخييل السياسي الذي يجعل من السلطة مركزًا لا غنى عنه لدوام الجماعة.

2. **الشرعية امتدادٌ للوحي**

حين تُنشَر الخطب في سياق المساجد والحرمين، وتُربَط قرارات الخليفة بنصوص قرآنية وحديثية، تتشكّل في ذهن الجمهور علاقة ضمنية بين الشرعية السياسية والوحي؛ فتصبح طاعة الخليفة جزءًا من الطاعة لله ورسوله، أو هكذا يُخيَّل للجمهور من خلال بنية الخطاب[1].

3. **المستقبل الموعود**

التخييل لا يقتصر على الحاضر؛ فالخطب تعدُّ بمستقبل من النصر، والعدل، ورفاه

[1](الجاحظ، البيان والتبيين، ج 1 ابن قتيبة، عيون الأخبار، ج 2،: السيوطي، تاريخ الخلفاء ص45

الرعيّة إن تمسّكوا بالطاعة والبيعة؛ وهذا الوعد المستقبلي يعمّق التخييل السياسي للدولة بوصفها حاملة لمشروع خلاص جماعي، لا مجرّد جهاز إداري.

المبحث الرابع: التخييل من منظور تداولي

أوّلًا: كيف يخدم التخييل المقصد السياسي؟

من منظور تداولي، المقصد الأساس للخطبة السياسية هو **تغيير موقف المتلقي وسلوكه** لصالح السلطة القائمة؛ أي حمله على قبول شرعيتها، وتأييد قراراتها، والتماهي مع رؤيتها للعالم.

التخييل السياسي يخدم هذا المقصد عبر:

1. **تحويل المعطى السياسي إلى سردية مقنِعة** :الأحداث والقرارات تُدمَج في قصص وصور (ظلم الأمويين، نصرة أهل البيت، إحياء السنّة...) تجعل السياسة تبدو امتدادًا لسننٍ تاريخية–دينية لا مفرّ منها[1].
2. **دمج الحجّة في الصورة** :بدل أن تُقدَّم الحجة في قالب منطقي صارم، تُقدَّم في قالب قصصي/استعاري يسهل على الجمهور استقباله والتعاطف معه؛ فالجمهور يقتنع لأنه يعيش القصة لا لأنه يفكّر في بنية الحجّة فقط.
3. **شرعنة العنف والقرارات الصعبة** :حين يُصوَّر الخصم على أنه مجرّد ظلّ لفرعون أو خارجي على الإمام، فإن أي عقوبة تُنزَل به تُرى – في المتخيل الجماعي – استمرارًا للعدل الإلهي، لا مجرّد خيار سياسي، ما يسهّل تمرير سياسات القمع.

ثانيًا: كيف يوجّه التخييل المتلقي؟

التخييل يعمل على مستويين في توجيه المتلقي:

1. **المستوى المعرفي(Cognitive)**

يعيد تنظيم خرائط المفاهيم في ذهن السامع؛ فبدل أن يرى الخلافة مشروعًا بشريًا قابلًا

[1](دراسة «الخطابة السياسية وصراع الهوية في العصر العباسي الأوّل»، جامعة ميلة، 2018؛ ابن قتيبة، عيون الأخبار، ج 2، ص 120–122).

للمساءلة، يراها جزءًا من "دين الله"؛ وبدل أن يرى المعارض شريكًا سياسيًا، يراه "أهل بدعة" أو "فتنة". هذا التحويل المفهومي يجعل بعض السيناريوهات السياسية – مثل المعارضة المنظمة، أو الفصل بين السلطة الدينية والسياسية – خارج أفق التصوّر.

2. **المستوى الوجداني(Affective)**

التخييل يثير مشاعر الخوف (من الفتنة، من العدو)، والرجاء (في النصر، في العدل)، والفخر (بالانتماء إلى الدولة/الجماعة)، ما يدفع المتلقي إلى الانخراط في رؤية السلطة، لا عن قناعة عقلية فقط، بل عن تماهٍ عاطفي معها[1].

ثالثًا: كيف يبني التخييل الإقناع والهيمنة؟

تُظهر مقاربات بورديو للسلطة الرمزية أن الخطاب لا يكتفي بإقناع المتلقي في لحظةٍ بعينها، بل يهدف إلى **تشكيل أفقٍ دائم لما يُعدّ مقبولًا أو معقولًا**؛ أي بناء هيمنة رمزية تجعل رؤية السلطة للعالم هي الرؤية الطبيعية في عيون الناس[2].

في هذا الإطار:

- **الإقناع** هو المستوى الأوّل: إقناع الجمهور بموقف معيّن (البيعة للسفاح، سياسة المنصور، خيار المأمون العقدي، إصلاح المتوكل)[3].
- **التخييل السياسي** يمدّ هذا الإقناع إلى مستوى أعمق؛ إذ لا يكتفي بحمل الناس على الموافقة على قرار، بل يجعلهم يتبنّون **تمثّلًا معيّنًا للعالم**)خلافة شرعية منصورة، أعداء مطلقو الشر، دولة حارسة للدين.(
- **الهيمنة الرمزية** هي حصيلة التخييل المتراكم عبر الزمن: حين تتكرّر هذه الصور والتخييلات في الخطب، وكتب الأدب، وكتب التاريخ، يتشكّل في الذهن الجمعي نموذج

[1](انظر: ابن عبد ربه، أحمد. العقد الفريد. القاهرة: دار الكتب، ج 4، ص 33–40؛ ولدكرادة، حكيمة. "التخييل في الموروث النقدي العربي". مجلة اللغة العربية، العدد 12، 2021، ص 69–90).

[2]بورديو، بيير. الهيمنة الرمزية. بيروت: المنظمة العربية للترجمة، 2009، ص 25–30؛ فان ديك، تيون. الخطاب والسياسة. ترجمة سعيد بنكراد، الدار البيضاء: دار توبقال، 2008، ص 40–45).

[3]ابن عبد ربه، أحمد. العقد الفريد. القاهرة: دار الكتب، ج 4، ص 35.

واحد عن الخليفة، والعدو، والدولة، يصعب تجاوزه؛ فيصبح أي بديل سياسي أو عقدي خارج هذا النموذج غريبًا أو مرفوضًا تلقائيًا.

وبذلك يتبيّن أنّ التخييل السياسي في الخطب العباسية، من منظور تداولي، ليس مجرّد زخرف أسلوبي، بل هو **آلية مركزية** لإنتاج الإقناع وبناء الهيمنة؛ فهو يوفّر للسلطة إمكان ممارسة "العنف الرمزي" – بتعبير بورديو – من خلال قولٍ تتبنّاه الجماعة بوصفه حقيقة، بينما هو في جوهره بناءٌ تخييليّ موجَّه.

الخـاتمـة

الخاتمة:

خلص هذا البحث إلى أنّ الخطبة السياسية العباسية تمثّل ممارسة تداولية معقّدة، تتجاوز حدود النصّ الوعظي لتصبح أداةً لإنتاج الشرعية وإعادة تشكيل الوعي الجمعي، حيث تداخلت مفاهيم المحاكاة والخيال والتخييل في التراث النقدي العربي لتؤسّس لبنية رمزية قادرة على إحداث أثر مباشر في المتلقي، وجعلته يذعن لصورة معيّنة عن الخليفة والدولة والعدو.

وقد تبيّن أنّ الخلفاء الأوائل وظّفوا النص القرآني والخيال البلاغي في تثبيت شرعيتهم، فصوّروا أنفسهم بوصفهم خلفاء شرعيين منصورين من الله، في مقابل خصومهم الذين جُعلوا رموزًا للغصب والفتنة،

كما كشفت الدراسة أنّ صورة الدولة والعدو بُنيت على ثنائية التضاد: الدولة دار العدل والجماعة، والعدو رمز الفوضى والانقسام، وهو ما عزّز المخيال السياسي للأمة ورسّخ الهيمنة الرمزية للسلطة؛ وأثبت المنهج التداولي فعاليته في تحليل هذه النصوص التراثية، إذ كشف عن آليات الحجاج وأفعال الكلام والاستلزام في بناء التخييل السياسي،

وهذا يفتح أفقًا جديدًا لدراسة نصوص أخرى من التراث العربي الإسلامي، مثل الرسائل والعهود والوثائق الرسمية، من منظور تداولي–تخيلي، بما يعمّق فهم دور اللغة في إنتاج السلطة وإعادة إنتاجها عبر التاريخ، ويؤكد أنّ الخطاب السياسي ليس مجرد وسيلة للتواصل، بل فضاء لإعادة تشكيل الواقع وصياغة المخيال الجماعي للأمة.

يمكن توسيع الدراسة لتشمل **خطب الخلفاء الأمويين** والقادة السياسيين في العصور اللاحقة، ومقارنتها بالخطب العباسية لرصد تطوّر أنماط التخييل السياسي، ودرجات حضور البعد الديني/المذهبي في بناء صورة السلطة والخصوم.

تمثّل **خطب العلماء والفقهاء** (كالغزالي، وابن تيمية، وغيرهما) ميدانًا خصبًا لتطبيق نفس الآليات؛ إذ يمكن دراسة كيف يُمارَس التخييل السياسي في خطبٍ ليست صادرة عن السلطة الحاكمة، ولكنها تسهم في شرعنتها أو معارضتها..

.يفتح هذا البحث المجال أمام دراسة **الخطاب السياسي العربي المعاصر** (خطب الزعماء، بيانات الدولة، خطب الجمعة الرسمية) في ضوء مفهوم التخييل السياسي، والوقوف على ما استمرّ من الآليات التراثية وما تحوّل في سياق الإعلام الحديث ووسائل التواصل.

يمكن تعميق البعد النظري بربط التخييل السياسي بمقاربات أخرى لتحليل الخطاب، مثل **تحليل الخطاب النقدي، والحجاج الجديد، ولسانيات النصّ**، بما يتيح بناء نموذج تحليلي مركّب يجمع بين الأدبي والتداولي والسوسيولوجي في قراءة النصوص السياسية العربية.

بهذه الآفاق يبقى التخييل السياسي في الخطب العباسية مدخلًا واعدًا لفهم علاقة اللغة بالسلطة في التراث العربي، وقاعدة يمكن الانطلاق منها إلى مقارنات زمنية وموضوعية أوسع.

قائمة المصادر والمراجع:

أ - المراجع بالعربية:

- أبو نصر الفارابي: آراء أهل المدينة الفاضلة، تحقيق: علي بوملحم، دار ومكتبة الهلال، بيروت .

- - ابن الأثير علي بن محمد: الكامل في التاريخ، دار صادر، بيروت، ج6 .

- ابن سينا الحسين بن عبد الله: الشفاء: كتاب الشعر، دار الثقافة، بيروت .

- ابن سينا الحسين بن عبد الله: الشفاء: كتاب النفس، تحقيق: عبد الرحمن بدوي، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة .

- ابن عبد ربه أحمد: العقد الفريد، دار الكتب، القاهرة، ج4 .

- ابن قتيبة عبد الله: المجالس والخطب، دار الجيل، بيروت .

- ابن منظور محمد بن مكرم: لسان العرب، دار صادر، بيروت، ج13، 1999 .

- البلاذري أحمد بن يحيى: أنساب الأشراف، دار الفكر، بيروت، ج3 .

- الجاحظ عمرو: البيان والتبيين، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ج1 .

- الجرجاني عبد القاهر: أسرار البلاغة، تحقيق: محمود شاكر، دار المعارف، القاهرة .

- الجرجاني عبد القاهر: دلائل الإعجاز، تحقيق: محمود شاكر، دار المعارف، القاهرة .

- الجرجاني علي بن محمد: التعريفات، دار الريان للتراث، القاهرة، 1985 .

- الطبري محمد بن جرير: تاريخ الأمم والملوك، دار الكتب العلمية، بيروت، ج7 .

- عصام قصبجي: أصول النقد العربي القديم، جامعة حلب، ص2 .

- قدامة بن جعفر: نقد الشعر، تحقيق: كمال مصطفى، دار الكتب، القاهرة .

- مجد الدين الفيروزآبادي: القاموس المحيط، دار الكتب العلمية، بيروت، 1998 .

- ولد كرادة حكيمة: التخييل في الموروث النقدي العربي ، مجلة اللغة العربية ، العدد 12 .

- يوسف الإدريسي: مفهوم التخييل في النقد والبلاغة العربيين (الأصول والإمتدادات)، دار توبقال، الدار البيضاء، 2015 .

ب - المراجع بالأجنبية:

- أوستن جون لانغشو: كيف ننجز الأشياء بالكلمات، مطبعة كلارندون، أكسفورد، 1962 .

- بيير بورديو: الهيمنة الذكورية تر: سلمان قعفراني، المنظمة العربية للترجمة، بيروت .

- سيرل جون روجرز: أفعال الكلام: مقالة في فلسفة اللغة، مطبعة جامعة كامبريدج، جامعة كامبريدج، 1969 .

- غرايس بول: المنطق والمحادثة، النحو و الدلالة، تحرير: كول ومورغان، أكاديميك برس، بيروت، المجلد3، 1975، ص41 - 58 .